الشنقيطي
بين التفسير والأحكام
في تفسيره أضواء البيان

د/ وجيه محمود أحمد
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية
كلية الآداب -جامعة أسيوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد

فقد أمرنا الله تعالى بتدبر كتابه الكريم والاجتهاد في فهم معانيه ، لما في ذلك من زيادة في الإيمان ، وعلامة على محبة القرآن ، وقوة في التمسك بأحكام الإسلام يقول سبحانه : {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ } ص٢٩.

فقد استدل العلماء من هذه الآية على وجوب معرفة معاني القرآن [١] ، كما استدلوا كذلك على أن الله تعالى إنما أنزل القرآن الكريم للتدبر والتفكر في معانيه لا لمجرد التلاوة بدون تدبر [٢] .

أما فوائد التدبر فكثيرة وعظيمة ، قال فيها ابن القيم :

فليس شي أنفع للعبد في معاشه ومعاده أقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وجمع الفكر على معاني آياته .

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١٩٢/٨

(٢) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن ، للقنوجي ٣٧/١٢، و فتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٣ .

فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحزافيراها ، وعلى طرقاتها وأسبابها وغاياتها وثمراتها، ومآل أهلها ، وتتل (تضع) في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة...وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتشيد بنيانه وتوطد أركانه....فلا تزال معانيه تنهض بالعبد إلى ربه بالوعد الجميل .. وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل ، وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل .. إلى أن قال :

وفي تأمل القرآن وتدبره وتفهمه أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد [1].

وإذا كان الله يأمرنا بتدبر آيات كتابه فإنه ينكر على المعارضين عن تدبره صنيعهم ويذم فعلهم ، يقول سبحانه :{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}محمد ٢٤

ويقول جل وعلا :{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً }النساء٨٢.

وذلك لأن المعرض عن تدبر آيات القرآن إنما يظلم نفسه ، ويظلم قلبه، ويحرمهما خيرا كثيرا في الدين والدنيا والآخرة .

وجل من يحبس نفسه ووقته وجهده لتدبر آيات الله تعالى إنما يحاول – بقدر طاقته – الكشف عن وجوه إعجاز القرآن الكثيرة وأسراره العظيمة وغوامضه الدقيقة ، وكمال حجته وسمو بلاغته ، وكذلك التوفيق بين آياته وبين ما استقر عليه من قواعد العلوم المختلفة ، إلى غير ذلك مما يسفر عنه تدبر القرآن والتأمل فيه من فوائد عظيمة تشهد بربانيته وتنطق بإعجازه ، فلا يجد القارئ المنصف بدأ من الإيمان به والتسليم له .

إلا أننا قد وجدنا بين كتب التفسير المعاصرة تفسيرا لاحظ صاحبه _كما يذكر في المقدمة – إعراض الناس عن كتاب ربهم وتدبر آياته ، واحتقارهم لمن

([1]) مدارج السالكين ١/٤٨٥.

يعمل به ويدعو إليه ، فأقبل على القرآن بعقله وقلبه ، وجعل وقته وقفا على كتاب الله تعالى ، يتدبر آياته ويعيشها ويتأملها ، فإذا هي تفسر بعضها بعضا ، ويجلو بعضها بعضا ،ويقرب بعضها بعضا ،فإذا كانت العبارة المعروفة عند العلماء"القرآن يفسر بعضه بعضا " قولا مرسلا ، فإنها في هذا التفسير واقعا تطبيقيا تمخض عنه تدبر آيات القرآن والتفكر فيها والتأمل في معانيها ،وهذا المفسر هو الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ،وتفسيره هو أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن

فقد جاء هذا التفسير محاولة تطبيقية لتفسير القرآن بالقرآن ،اجتهد صاحبه في بيان معاني الآيات القرآنية بعد استيعابه لآيات القرآن وفهمه لمعانيها ومقاصدها، حيث عمد الشنقيطي إلى تفسير القرآن معتمدا كل الاعتماد على الآيات القرآنية التي يمكن أن تدخل في نطاق الآية التي بصددها تفسيرا، أو تأكيدا، أو توضيحا أو إضافة لأمر يتعلق بموضوع الآية ،وقد بذل الشنقيطي في ذلك جهدا واضحا جعل عمله فريدا في بابه وموضوعه حتى أثنى عليه كثير من العلماء والباحثين .

ولما كان الهم الأول للشنقيطي هو تفسير القرآن بالقرآن كما هو واضح من عنوان تفسيره فإنه من الطبيعي أن لا يشمل تفسيره جميع آيات القرآن الكريم، فكثير من الآيات يعسر تفسيرها من القرآن ، ومن ثم فإن تفسيره يقتصر فقط على الآيات التي يمكن تفسير ها أو تفسير بعض أجزائها من القرآن الكريم .

ونظرا للنزعة الفقهية العالية عند الرجل فقد جعل الهم الثاني له في تفسيره هو بيان الأحكام الفقهية المتعلقة بالآية المفسرة ،فقد ذكر الشيخ في مقدمة التفسير أن المقصود الثاني من تأليفه لهذا التفسير –بعد بيان القرآن بالقرآن – هو بيان الأحكام الفقهية ولذا فإن الواقف أمام هذا التفسير بالبحث والدراسة لا بد وأن يعرض لهذين الجانبين:تفسير القرآن بالقرآن ،وبيان الأحكام الفقهية، ولذ فقد انقسمت هذه الدراسة إلى قسمين :

الأول : يتحدث عن صور التفسير القرآني للقرآن في أضواء البيان .

والثاني : يتحدث عن الأحكام الفقهية وكيفية تعامل المفسر معها .

ولبيان القيمة العلمية لهذا التفسير عقبت على هذين القسمين ببيان موقع"أضواء البيان "بين كتب التفسير وأقوال العلماء فيه .

وآمل أن تجيب هذه الدراسة عن بعض الأسئلة من أهمها :

-تحت أي قسم من أقسام التفسير يندرج أضواء البيان ، هل يدرج ضمن كتب التفسير بالمأثور كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين [1] نظرا لمنهجه الذي يقوم على بيان القرآن بالقرآن ، أم أنه يدرج ضمن كتب التفسير العقلي ، لأن تفسيره القرآن بالقرآن جاء معتمدا على اجتهاده الخاص ومبنيا على وجهة نظره الشخصية ،إضافة إلى المباحث العقلية الأخرى وعلى رأسها الجانب الفقهي

-هل خلت هذه المحاولة الشنقيطية الجديدة من أي سلبيات ؟ أم أن لها ثغرات وهنات كتجربة جديدة في هذا المجال ؟

-ما دلالة بناء التفسير على هذين الأساسين المذكورين :تفسير القرآن بالقرآن وبيان الأحكام الفقهية ؟وما العلاقة بينهما ؟

-ما علاقة هذا التفسير بتفاسير الأحكام التي اقتصرت على الآيات الفقهية فقط ؟

وتقتضي طبيعة البحث وقبل الشروع في الدراسة أن نعرف بالشيخ وتفسيره بشيء من الإيجاز

والله سبحانه الموفق

---

(1) كالدكتور فهد الرومي في كتابه :دراسات في علوم القرآن ص١٥٧

التعريف بالشنقيطي :

تعد الترجمة التي ذكرها تلميذه الأستاذ /عطية محمد سالم في مقدمة التفسير هي المرجع الرئيسي في التعريف بالشنقيطي ،وهي محاضرة ألقاها الأستاذ عطية في موسم ثقافات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وكانت بعنوان *مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله [1] و قد ذكر صاحبها أن كثيرا من فقراتها نقله عن شيخه مباشرة إملاء عليه وتسجيلا عنه . ومن هذه الترجمة نقتطف ما يلقي الضوء حول الشيخ وبيئته العلمية ومكوناته الثقافية.

اسمه ولقبه :

هو محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي . ولد في عام ١٣٠٥هـ بشنقيط،وهي دولة موريتانيا الإسلامية حاليا توفي والده وهو صغير وقد حفظ القرآن وعمره عشر سنوات.

نشأته العلمية

نشأ الشنقيطي في بيئة عنيت عناية كبيرة بالعلم والعلماء ، وكان طلب العلم عندهم على قدم وساق سواء في حلهم أو ترحالهم، حتى أن الشنقيطي يذكر أنه حفظ القرآن وتعلم رسم المصحف العثماني والتجويد وغير ذلك على يد أقربائه [2]

شيوخه تلقى الشنقيطي العلوم العربية والشرعية على مشاهير العلماء في بلاده ومنهم:

-الشيخ محمد بن صالح المشهور بابن أحمد الأقزم.

-و الشيخ العلامة أحمد بن عمر .

---

(1) وهي منشورة في مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٢٣ الموضوع الرابع

(2) انظر المقدمة صفحة (ز)

-والفقيه الكبير أحمد بن مود .

-والفقيه الكبير محمد النعمة بن زيدان .

يقول الشنقيطي

وقد أخذنا عن هؤلاء المشايخ كل الفنون : النحو والصرف والأصول وبعض التفسير والحديث ، أما المنطق وآداب البحث والمناظرة فقد حصلناه بالمطالعة [1].

مذهبه الفقهي

درس الشنقيطي المذهب المالكي متونا وشروحا، أصولا وفروعا ، حيث كان المذهب السائد في بلاده هو المذهب المالكي ، وكان منهج الدراسة هناك منصبا أكثر ما يكون لى الفقه وفي مذهب مالك فقط .

وعندما عزم على البقاء في المدينة المنورة وخالط العامة والخاصة وجد من يمثل المذاهب الأربعة ومن يناقشها فاتجه إلى دراسة المذاهب الأخرى إلى جانب مذهب المالكي.

رحلته إلى المدينة المنورة

كان خروجه من بلاده لأداء فريضة الحج وعلى نية العودة إلا أنه اتصل ببعض العلماء فتولدت بينه وبينهم رغبة متبادلة في بقائه لإفادة المسلمين ، ورغب رحمه الله في هذا الجوار الكريم ، وكان يقول " ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم "[2] ، فأذن له الملك عبد العزيز بالتدريس في المسجد النبوي ، ثم عينه مدرسا بالجامعة الإسلامية بعد

([1])المقدمة صفحة (ع)

([2]) المقدمة صفحة (م)

افتتاحها ، ثم عضوا في هيئة كبار العلماء وهى أكبر هيئة علمية في البلاد ، ثم عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

مؤلفاته

للشنقيطي – غير " أضواء البيان " – مؤلفات كثيرة نذكر منها،

- دفع إيهام الاضطراب عن آي كتاب
- أدب البحث والمناظرة
- مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر

أخلاقه

يحكي الأستاذ عطية سالم عن أخلاق الشنقيطي فيقول :

أما مكارم أخلاقه ومراعاة شعور جلسائه فهذا فوق حد الاستطاعة فمنذ صحبته لم أسمع منه مقالا لأي إنسان ولو مخطئ عليه يكون فيه جرح لشعوره ، وما كان يعاتب إنسانا في شيء يمكن تداركه ، وكان كثير التغاضي على كثير من الأمور فيحق نفسه ... ولم يكن يغتاب أحدا ، أو يسمح بغيبة أحد في مجلسه ...

وفي الجملة فقد كان رحمه الله خير قدوة وأحسنها في جميع مجالات الحياة، فكان العالم العامل ولا أزكى على الله أحدا " [1] .

وفاته :

كانت وفاة الشنقيطي ضحى يوم الخميس السابع عشر من ذي الحجة في عام ١٣٩٣هـ بمكة المكرمة بعد أداء فريضة الحج

([1])المقدمة صفحة (ك)

التعريف بالتفسير :

- عنوانه

جاء عنوان التفسير كاشفا عن المنهج العام الذي يسير عليه المؤلف وهو تفسير القرآن بالقرآن ، حيث جعل عنوانه " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " .

- تكملة التفسير

وصل الشنقيطي في هذا التفسير إلى سورة المجادلة ، ثم أتمه تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ونهج فيه نفس منهج أستاذه ، حتى لا تكاد تجد فرقا بين منهج الرجلين ، وهذا ما يلحظ في كتب التفسير التي لم يكملها أصحابها ، ويتضح ذلك جيدا في تفسيري" مفاتيح الغيب" و " الجلابين " .

- الدافع إلى التأليف

الناظر في مقدمات التفاسير يجد أن الدافع إلى تأليفها إما أن يكون تكملة لجهد سابق أو سدا لثغرة في مجال معين ، أو استجابة لرغبة الطلاب ، أو رغبة في معايشه القرآن والتماس بركاته وأنواره.

إلا أننا في تفسير أضواء البيان نجد أن الدافع إلى تأليفه دافع " دعوي " حيث يقدم الشنقيطي على تفسير القرآن وبيان أحكامه دعوة للمعرضين عن كتاب الله حتى يتمسكوا بكتاب ربهم ويعملوا به ويتركوا ما خالفه ، ولعل تواجد الشيخ في المسجد النبوي الشريف وتدريسه فيه وتمتعه بالجوار الكريم كان وراء هذه الوجهة الدعوية.

يقول الشنقيطي :

لما عرفنا إعراض أكثر المتسمين باسم المسلمين اليوم عن كتاب ربهم ونبذهم له وراء ظهورهم ،وعدم رغبتهم في وعده ، وعدم خوفهم من وعيده،علمنا أن ذلك مما يعين على من أعطاه الله علما بكتابه أن يجعل همته في خدمته من

بيان معانيه وإظهار محا سنه وإزالة الإشكال عما أشكل منه ،وبيان أحكامه والدعوة إلى العمل به ،وترك ما يخالفه [1].

وصف عام لأضواء البيان

١- يعني الشنقيطي في هذا التفسير بإيضاح آيات القرآن من خلال القرآن نفسه ، ومن ثم فإن تفسيره لم يشمل كل آيات القرآن ، وإنما فقط الآيات التي يمكن تفسيرها -فيما يرى- من داخل القرآن .

٢- وعندما يعرض الشنقيطي لتفسير الآية فقد يفسر الآية كاملة أو يفسر جزءا منها ، أو يجزئ الآية إلى مقاطع كل مقطع منها يستدل على معناه من آيات القرآن ، كل ذلك يكون حسب إمكانية بيانه القرآن الكريم .

٣- وقد لا يقصد الشنقيطي إلى تفسير الآية المذكورة وإنما يقصد بيان أمر بتعلق بها فإذا تحدثت الآية عن شي ما فإنه يجتهد في بيان سببه أو نتيجة أو صفته أو كيفيته أو غير ذلك مما يتعلق به ، كل ذلك من خلال القرآن الكريم .

٤- وعندما يوجه الشنقيطي عنايته إلى تفسير القرآن بالقرآن فإنه يقتصر- في الغالب - على التفسير القرآني للآيات ، ولا يلتفت كثيرا إلى الأقوال الأخرى في التفسير إلا إذا دعت إليها الضرورة .

٥ - إذا كانت الآية المفسرة تشتمل على حكم فقهي فإنه يعرض لهذا الحكم وما يتعلق به ، ويتوسع في ذلك توسعا ملحوظا قد يبعدنا كثيرا عن الطابع المتميز لهذا التفسير وهو بيان القرآن بالقرآن .

٦- للسنة دور في تفسير أضواء البيان خاصة فيما يتعلق بالأحكام ، حيث يذكرها الشنقيطي استدلالا واستشهادا على الأحكام الفقهية .

٧- قد يتعلق بالآية المفسرة قضايا أصولية أو لغوية أو عقدية فيعرج عليها الشنقيطي إتماما للفائدة وتحقيقا للبيان.

---

(1) أضواء البيان ص ٣ .

القسم الأول

صور التفسير القرآني في أضواء البيان

ذكر الشنقيطي في مقدمة التفسير مجموعة كبيرة من صور التفسير القرآني للقرآن، إلا إنني حاولت أن أجمع ما ذكره وما لم يذكره مما وجدناه في التفسير في خمس صور رئيسية يندرج تحتها جل ما ورد من تفسير القرآن بالقرآن في هذا التفسير ، وهذه الصور هي :

١- صور تتعلق بالتفسير والبيان

٢- صور تتعلق بإتمام المعنى

٣- صور تتعلق ببيان المجمل

٤- التفسير الموضوعي

٥- صور تتعلق بأقوال العلماء

وإليك تفصيل هذا الإجمال.

أولا :صور تتعلق بالتفسير والبيان

حيث يعمد الشنقيطي إلى ذكر الآية أو الآيات التي تشتمل على تفسير أو بيان للآية التي بصدد تفسيرها.

ففي تفسير قوله تعالى:{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ}البقرة٤٠

يقول الشنقيطي:

لم يبين هنا ما هذه النعمة التي أنعمها عليهم ، ولكنه بينه في آيات آخر كقوله : {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى}البقرة٥٧ وقوله :{وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ }البقرة٤٩ وقوله : {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ . وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ }القصص (٥-٦)

وقوله تعالى: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ}

لم يبين هنا ما عهده وما عهدهم ، ولكن بين ذلك في مواضع أخر كقوله : { وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ } (المائدة١٢) فعهدهم هو المذكور في قوله : {لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً " وعهده هو المذكور في قوله" لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ } [1]

وفي تفسير قوله تعالى : {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ} (آل عمران ٤٦)

يقول الشنقيطي: لم يبين هنا ما كلمهم به في المهد ولكن بينه في سورة مريم بقوله : {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً *وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّا} (مريم ٢٩- ٣٣)[2]

- ومن الصور المتعلقة ببيان المعنى ما يذكره الشنقيطي من الآيات الكثيرة التي تؤكد معنى الآية وتوضحه وتجليه ، ولذلك تكثر في تفسيره عبارة: " وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة .

كما في تفسير قوله تعالى : {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }النحل٣.يقول الشنقيطي:

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه هو خالق السموات والأرض ، وأن من يخلق هذه المخلوقات العظيمة يتنزه ويتعاظم أن يعبد معه من لا يخلق شيئا ،

---

(١) أضواء البيان ٦٧/١

(٢) أضواء البيان ٢٤٤/١

ولا يملك لنفسه شيئا ،فالآية تدل على أن من يبرز الخلائق من العدم إلى الوجود لا يصح أن يعبد معه من لا يقدر على شي ، ولهذا أتبع قوله : {خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بِالْحَقِّ} بقوله { تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} .

ثم يقول :

وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}(البقرة ٢١) فدل على أن المعبود هو الخالق دون غيره ، وقوله {أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ } النحل١٧ وقوله { أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}الرعد١٦ ، وقوله {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً. الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً . وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً}(الفرقان١-٣)، وقوله جل وعلا : {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (لقمان١١) وقوله : {قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ} (فاطر٤٠) ، وقوله : {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }الأحقاف ٤، وقوله جلا وعلا:{أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ } الأعراف ١٩١ ، خَلَقُوا، وقوله : {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء} النحل (٢٠-٢١) .إلى غير ذلك من الآيات .

ثم يقول :

فهذه الآيات تبين أن الذي يستحق أن يعبد هو من يخلق الخلق ويبرزهم من العدم إلى الوجود ، أما غيره فهو مخلوق مربوب، محتاج إلى من يخلق ويدبر شئونه .[1]

وفي قوله تعالى : {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً } (الإسراء٨٣) .

يقول الشنقيطي :بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه إذا أنعم على الإنسان بالصحة والعافية والرزق أعرض عن ذكر الله وطاعته ، ونأى بجانبه " أي تباعد عن طاعة ربه ، فلم يمتثل أمره ولم يجتنب نهيه .

ثم يقول :

وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في مواضع كثيرة من كتابه .

كقوله تعالى : {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوس كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُور} هود٩-١٠

وقوله : {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ } فصلت (٤٩-٥١) .

وقوله : {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ }الروم٣٣ .، وقوله : {وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ } (يونس١٢) وقوله : {وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا

( ) أضواء البيان ١٩٢/٣

خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّـهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ}(الزمر٨). إلى غير ذلك من الآيات .

ثم يقول الشنقيطي : وقد استثنى الله من هذه الصفات عباده المؤمنين في قوله في سورة هود : {إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَـئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} (هود١١) .[1]

-وإذا استنبط الشنقيطي معنى تشير إليه الآية ويفهم من ألفاظها موافقة فإنه يذكر من القرآن ما يؤيد هذا المعنى المفهوم .

في تفسير قوله تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ }النحل٧٣ ،يقول الشنقيطي -بعد تفسير الآية -:

ويفهم من الآية الكريمة أنه لا يصح أن يعبد إلا من يرزق الخلق،لأن أكلهم رزقه ،وعبادتهم غيره كفر ظاهر لكل عاقل ،وهذا المعنى المفهوم من هذه الآية الكريمة بينه جل وعلا في مواضع أخر كقوله إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } العنكبوت١٧ ،وقوله تعالى {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ }الملك٢ ،وقوله{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى }طه١٣٢، وقوله "هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ...الآية "فاطر٣ ،إلى غير ذلك من الآيات[2]

وفي تفسير قوله تعالى : {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى } (الكهف١٣).يقول الشنقيطي: ويفهم من هذه الآية الكريمة

---

(١) أضواء البيان٣/٥٦٨

(٢) أضواء البيان٣/٢٩٤

أن من آمن بربه وأطاعه زاده به هدى لأن الطاعة سبب للمزيد من الهدى والإيمان ،وهذا المفهوم من هذه الآية الكريمة جاء مبينا في مواضع آخر ، كقوله تعالى : {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } (محمد١٧) ، وقوله {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } (العنكبوت٦٩) ، وقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانا} (الأنفال٢٩)،وقوله فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } (التوبة ١٢٤) وقوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ} (الفتح٤) ، وقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ} (الحديد ٢٨) ، إلى غير ذلك من الآيات [١]

– وعندما تدل الآية بمفهوم مخالفتها على معنى يستند إلى دليل قرآني فإن الشنقيطي يذكر من الآيات ما يؤيد هذا المعنى . في تفسير قوله تعالى : وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً } (النساء)

يقول الشنقيطي: ويفهم من مفهوم مخالفة هذه الآية أن صلاة المؤمنين المخلصين ليست كذلك ، وهذا المفهوم صرح به تعالى في آيات كثيرة كقوله تعالى {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } (المؤمنون ١-٢) ، وقوله : {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ }(المؤمنون ٩) ، وقوله {يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ .. الآية } (النور٣٦-٣٧)،إلى غير ذلك من الآيات .[٢]

---

(١) نفسه ٣١/٤

(٢) أضواء البيان ٣٧٩/٢

وفي تفسير قوله تعالى – على لسان نفر من الجّن –{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } (الأحقاف٣١) .

يقول الشنقيطي: مفهوم مخالفتها _ المعروف بدليل الخطاب _ أنه من لا يجب داعي الله من الجن ولم يؤمن به لم يغفر له،ولم يجره من عذابه ويدخله النار، وهذا المفهوم جاء مصرحا به في آيات أخر كقوله تعالى : {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } (هود١١٩) وقوله تعالى : { وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } (السجدة١٣)،وقوله تعالى : {قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ }(الأعراف٣٨)، وقوله تعالى :{فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُون.وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ } (الشعراء ٩٤-٩٥) .إلى غير ذلك من الآيات[1]

ثانيا:صور تتعلق بإتمام المعنى

وهذا الوجه _ إتمام المعنى _ قد حظي بجل عناية الشنقيطي، فهو – في الغالب –يذكر معنى الآية ثم يجتهد في ذكر الآيات التي تتمم هذا المعنى ، من حيث السبب أو النتيجة أو الحكمة أو الوصف أو الكيفية أو غير ذلك مما يكمل به المعنى المذكور في الآية المفسّرة ، ولذلك فإننا يمكننا بيان وجوه إتمام المعنى في تفسير الشنقيطي فيما يلي :

١ – السبب

فعندما تتحدث الآية عن أمر ما يبحث في القرآن عن الآية أو الآيات التي تتحدث عن سببه .

في تفسير قوله تعالى – في بَنِي إِسْرَائِيلَ – {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ ... الآية } (البقرة ٧٤) .

---

(١) نفسه٧/٤٠١

يقول الشنقيطي:لم يبين هنا سبب قسوة قلوبهم ، ولكنه أشار إلى ذلك في مواضع أخر كقوله {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} (المائدة١٣) ، وقوله { فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ} (الحديد١٦) .[1]

وفي تفسر قوله تعالى { حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ} (الأعراف٣٨).

يقول الشنقيطي: لم يبين هنا السبب الذي مكنهم من إضلالهم ، ولكنه بينه في موضع آخر، وهو كونهم سادتهم وكبراءهم ومعلوم أن الأتباع يطيعون السادة الأمراء فيما يأمرونهم به، وهو قوله تعالى {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا . رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ} (الأحزاب٦٧-٦٨) ، وبسط ذلك في سورة "سبأ " بقوله {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ .وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً .. الآيات}(سبأ ٣١-٣٢-٣٣) [2]

٢) النتيجة

فكما يذكر الشنقيطي سبب الأمر المذكور في الآية فإنه أيضا يجتهد في بيان نتيجته مستعينا بآيات القرآن الكريم ففي تفسير قوله تعالى {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ} (البقرة ٤٥)

---

(١) أضواء البيان ٦٨/١

(٢) أضواء البيان ١٢٦٨/٢

يقول الشنقيطي

الاستعانة بالصبر على أمور الدنيا والآخرة لا إشكال فيها ، وأما نتيجة الاستعانة بالصلاة فقد أشار لها تعالى في آيات من كتابه ، فذكر أن من نتائج الاستعانة بها :

النهي عما يليق وذلك في قوله { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءَ و الْمُنكَرِ} (العنكبوت ٤٥) ، وأنها تجلب الرزق وذلك في قوله{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}(طه١٣٢)

ولذا كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة ، وإيضاح ذلك: أن العبد إذا قام بين يدي ربه يناجيه ويتلو كتابه هان عليه كل ما في الدنيا رغبة فيما عند الله ورهبة منه فيتباعد عن كل ما لا يرضى الله فيرزقه الله ويهديه .[١]

وفي تفسير قوله تعالى : { وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} (البقرة١٦٨) .

يقول الشنقيطي :لم يذكر ما يترتب على اتباع خطواته من الضرر ، ولكنه أشار إلى ذلك في سورة النور بقوله { وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ} النور ٢١ [٢]

١) الحكمة

ومما يكتمل به معنى الآية الحديث عن حكمة الأمر المذكورة فيها، ففي قوله تعالى {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ .. الآية } (آل عمران٥٢) .

---

(١) نفسه١/٦٤

(٢) أضواء البيان ١/٧٧

يقول الشنقيطي:لم يبين هنا الحكمة من ذكر قصة الحوارين مع عيسى ، ولكنه بين في سورة الصف أن حكمة ذكر قصتهم هي أن تتأسى بهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم في نصرة الله ودينه ، وذلك في قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ .... الآية} (الصف ١٤).[١]

وإذا ذكرت الآية حكمة شي مذكور فيها ، ولهذا الشي حكم أخرى في مواضع أخر من القرآن الكريم ، فإن الشنقيطي يبين هذه الحكم الأخرى الواردة في آيات القرآن الكريم والآيات الدالة عليها ،وقد ذكر ذلك الشنقيطي في مقدمة التفسير حيث يقول : ومن أنواع البيان المذكورة فيه – أي القرآن – أن يكون الله خلق شيئا لحكم متعددة فيذكر بعضها في موضع فإنا نبين البقية المذكورة في المواضع الأخرى.[٢]

في تفسير قوله تعالى : {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ .....الآية} (الأنعام٩٧) .

يقول الشنقيطي:

ظاهر هذه الآية الكريمة أن حكمة خلق النجوم هي الاهتداء بها فقط كقوله: {وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } (النحل١٦) ، ولكنه تعالى بين في غير هذا الموضع أن لها حكمتين أخريين غير الاهتداء بها وهما تزيين السماء الدنيا ورجم الشياطين بها كقوله {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رجوما لِّلشَّيَاطِينِ } (الملك٥)، وقوله {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ . وحفظا من كل شيطان

---

(١) نفسه١/٢٤٥

(٢) نفسه١/٢١

مارد .لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (الصافات ٦-١٠) .

وقوله {وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } (فصلت١٢)[1]

وفي تفسير قوله تعالى : {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ }(الذاريات٥٥)

يقول الشنقيطي: تضمنت واحدة من حكم التذكير وهو رجاء انتفاع المذكر به ، لأنه تعالى قال هنا "فَذَكِّرْ " ورتب عليها قوله : { فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ }

ثم يقول :

ومن حكم ذلك أيضا خروج المذكر من عهده التكليف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد جمع الله هاتين الحكمتين في قوله (قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} (الأعراف ١٦٤) .

ومن حكم ذلك أيضا النيابة عن الرسل في إقامة حجة الله على خلقه في أرضه لأن الله تعالى يقول {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} (النساء١٦٥).

وقد بين هذه الحجة في آخر طه في قوله {وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ ...الآية } (طه ١٣٤) .[2]

٤-الكيفية

ومما يتعلق كذلك بإتمام المعنى الحديث عن كيفية وقوع الأمر المذكور في الآية

ففي قوله تعالى {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ ... الآية}البقرة ٥٠

يقول الشنقيطي : لم يبين كيفية فرق البحر بهم ،ولكنه بين ذلك في مواضع أخر ،

([1]) أضواء البيان٢/١٨٣

([2]) أضواء البيان ٧/٦٧٠-٦٧١

كقوله تعالى {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِـرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}الشعراء٦٣

وقوله{وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً} طه ٧٧ [١]

وفي قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ}الأنعام٩٨

يقول الشنقيطي:لم يبين كيفية إنشائهم من نفس واحدة ،ولكنـه بـين فـي مواضع أخر كيفية أنه خلق من تلك النفس الواحدة التي هي آدم وزوجـه حـواء ،وبث منهما رجالا كثيرا ونساء كقوله { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّـن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء} النساء١،وقوله {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} الأعراف١٨٩[٢]

٥- الأوصاف

ويكتمل المعنى كذلك بذكر أوصاف ما تتحدث عنه الآية ،كما فـي قولـه تعالى {وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ} (البقرة٢٥) .

يقول الشنقيطي : لم يبين هنا صفات تلك الأزواج ، ولكنه بـين صـفاتهن الجميلة في آيات أخر كقوله {وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ } (الصافات٤٨) ، وقوله : {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ } (الرحمن٥٨)، وقولـه : {وَحُـورٌ عِـينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ } (الواقعة٢٢ – ٢٣) ، وقوله: {وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً }(النبأ٣٣) إلى غير ذلك من الآيات المبينة لجميل صفاتهن .[٣]

وكذلك في قوله تعالى (وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاًّ ظَلِيلاً } (النساء٥٧)

---

(١) نفسه ٦٥/١

(٢) نفسه١٨٣/٢-١٨٤

(٣) أضواء البيان٤٧/١

يقول الشنقيطي: وصف في هذه الآية الكريمة ظل الجنة بأنه ظليل، ووصفه في آية أخرى بأنه دائم وهو قوله { أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا} (الرعد٣٥) ، ووصفه في آية أخرى بأنه ممدود وهي قوله : {وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ } (الواقعة٣٠) وبين في موضع آخر أنها ظلال متعددة وهي قوله :{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ}(المرسلات٤١) .[1]

٦-الأنواع والأقسام

ومن مكملات المعنى أيضا الحديث عن أقسام الشيء وأنواعه كما في قوله تعالى {وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَار} (البقرة٢٥)

يقول الشنقيطي:لم يبين هنا أنواع هذه الأنهار ، ولكن بين ذلك في قوله تعالى : {فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ... الآية } (محمد١٥) .[2]

وفي قوله تعالى {وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ} (آل عمران١٤) .

يقول الشنقيطي:لم يبين هنا كم يدخل تحت لفظ الأنعام من الأصناف ، ولكنه قد بين في مواضع أخر أنها ثمانية أصناف هي : الجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز ، كقوله تعالى {وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً و فَرْشا} (الأنعام١٤٢) ثم بين الأنعام بقوله : {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ } (الأنعام١٤٣)يعني الكبش والنعجة { وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ} (الأنعام١٤٣) يعني التيس، والعنز إلى قوله : {وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ} (الأنعام ١٤٤) ، يعني الجمل والناقة ، {وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ}(الأنعام ١٤٤) يعني الثور والبقرة ، وهذه الثمانية هي المرادة بقوله :

([1]) نفسه١/٢٩٢

([2]) نفسه ١/٤٧.

{وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} (الزمر٦) وهي المشار إليها بقوله {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً}(الشورى١١).[1]

٧-الامتثال أو عدم الامتثال

فقد تشمل الآية على أمر أو نهي إلا أنها لم تبين هل حصل الامتثال بها أم لا ، وتجيب على ذلك آيات أخرى .

والمثال على الأمر :في قوله تعالى {قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ .... الآية } (البقرة١٣٦) .

يقول الشنقيطي:أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في هذه الآية أن يؤمنوا بما أوتيه جميع النبيين وأن لا يفرقوا بين أحد منهم حيث قال { آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا} إلى قوله { وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ} .

ولم يذكر هنا هل فعلوا ذلك أم لا ؟ ، ولم يذكر جزاءهم إذا فعلوه ، ولكنه بين كل ذلك في غير هذا الموضع ، فصرح بأنهم امتثلوا الأمر بقوله {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} (البقرة٢٨٥) ، وذكر جزاءهم على ذلك بقوله : {وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } (النساء١٥٢) .[2]

والمثال للنهي في قوله تعالى - في بني إسرائيل - { وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ} (النساء١٥٤)

([1]) أضواء البيان١/٢٤٣

([2]) أضواء البيان١/٧٤

يقول الشنقيطي : لم يبين هنا هل امتثلوا هذا الأمر فتركوا العدوان في السبت أولا، ولكنه في مواضع أخر أنهم لم يتمثلوا وأنهم اعتدوا في السبت كقوله تعالى {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ} (البقرة٦٥) ، وقوله : {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ} (الأعراف١٦٣) .[١]

٨- إجابة الدعاء

ومما يتم به المعنى الحديث عن إجابة الدعاء المذكور في الآية هل أجيب أم لا ؟ كما في قوله تعالى : { رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } (البقرة٢٨٦)

يقول الشنقيطي : لم يبين هنا هل أجاب دعائهم أم لا ؟ وأشار إلى أنه أجابه بقوله في "الخطأ " { وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ } (الأحزاب٥) ، وأشار إلى أنه أجابه في النسيان بقوله: {وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (الأنعام٦٨) فإنه ظاهر في أنه قبل الذكرى لا إثم عليه في ذلك ولا يقدح في هذا أن آية { وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ } مكية ، وآية { رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا} مدنية إذ لا مانع من بيان المدني بالمكي كعكسه ،وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} قال الله تعالى نعم [٢]

وكذلك في قوله تعالى – في بقية الآية – { رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا } (البقرة٢٨٦) .

يقول الشنقيطي :لم يبين هنا هل أجاب دعاءهم أم لا ؟ وبين أنه أجاب دعاءهم هذا في موضع آخر كقوله { وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ } (الأعراف١٥٧) ، وقوله : {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا} (البقرة٢٨٦) ،

---

(١) نفسه ٣٧٩/١

(٢) أضواء البيان ٢٣٢/١،والحديث في صحيح مسلم كتاب الإيمان ٣٦/١ رقم ١٢٥

وقوله (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)الحج٧٨، وقوله : { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ} البقرة١٨٥) إلى غير ذلك من الآيات . [١]

ثالثا:صور تتعلق ببيان المجمل

المجمل ما لم تتضح دلالته [٢] ، فهو لفظ خفي في ذاته خفاء جعل المراد منه لا يدرك إلا ببيان [٣] ، إذ يحتمل معينين أو أكثر من غير ترجيح لواحد منهما أو منها على غيره[٤] .

ومن أسباب الإجمال التي ذكرها الشنقيطي :

١- الاشتراك في المعنى

والاشتراك قد يكون في اسم أو فعل أو حرف .

ومثال الاشتراك في الاسم :

قوله تعالى : { وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ } (الحج٢٩) ، فقوله "العتيق" يطلق على معان كثيرة كالقديم والكريم والمعتق من الجبارة ، إلا أن آيات القرآن تدل على أن المقصود بها أولها.

يقول الشنقيطي :في المراد بالعتيق هنا للعلماء ثلاثة أقوال :

الأول : أن المراد به القديم لأنه أقدم مواضع التعبد

الثاني : أن الله أعتقه من الجبابرة

الثالث : أن المراد بالعتق فيه الكرم . وإذا علمت ذلك فاعلم أنه قد دلت آية من كتاب الله على أن العتيق في الآية بمعنى : القديم الأول وهي قوله تعالى : {إِنَّ

---

(١) أضواء البيان١/٢٣٢

(٢)الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/٦٩٣

(٣) تفسير النصوص محمد أديب صالح ١/ ٢٧٧

(٤) أضواء البيان ١/ ٤٣

أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً} (آل عمران٩٦) مع أن المعنيين الآخرين كلاهما حق ، ولكن القرآن دل على ما ذكرنا ، وخير ما يفسر به القرآن القرآن [1].

ومثال الاشتراك في الفعل :

قوله تعالى : { ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ } (الأنعام١) ، فقوله "يعدلون "مشترك بين قولهم عدل بمعنى مال وصد ،وبين قولهم عدل به غيره إذا سواه به ،والوجه الثاني هو ما دلت عليه آيات القرآن .

يقول الشنقيطي :في قوله تعالى " يعدلون "وجهان للعلماء :

أحدهما : أنه من العدل عن الشي بمعنى الانحراف والميل عنه ، وعلى هذا فقوله : "ربهم" متعلق بقوله "كفروا" ، وعليه فالمعنى : إن الذين كفروا بربهم يميلون وينحرفون عن طريق الحق إلى الكفر والضلال

والثاني : أن الباء متعلقة ب" يَعْدِلُونَ " ومعنى يعدلون يجعلون له نظيرا في العبادة من قول العرب :عدلت فلانا بفلان إذا جعلته له نظيرا وعديلا ..

ثم يقول :وهذا الوجه الأخير يدل له القرآن كقوله تعالى عن الكفار الذين عدلوا به غيره {تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ .إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}(الشعراء٩٧-٩٨) ،وقوله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ } (البقرة١٦٥) ، وأشار تعالى في آيات كثيرة إلى أن الكفار ساووا بين المخلوق والخالق

-قبحهم الله تعالى – كقوله{ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } (الرعد١٦) ، وقوله {أَفَمَن

([1]) أضواء البيان ٥/ ٦٨٦ ، ٦٨٧

يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ } (النحل١٧) إلى غير ذلك من الآيات.[١]

ومثال الاشتراك في الحرف :

قوله تعالى:{خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ} البقرة٧

فالواو في قوله: " وَعَلَى سَمْعِهِمْ " وقوله : " وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ " تحتمل العطف على ما قبلها كما تحتمل الاستئناف إلا أن القرآن دل على أن قوله " وَعَلَى سَمْعِهِمْ" معطوف على ما قبله ، وقوله " وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ "استئناف .

يقول الشنقيطي:لا يخفى أن الواو في قوله "وعلى سمعهم وعلى أبصارهم" محتملة في الحرفين أن تكون عاطفة على ما قبلها وأن تكون استئنافية ، ولم يبين ذلك هنا ،ولكنه بين في موضع آخر أن قوله " وعلى سمعهم " معطوف على قوله "وعلى قلوبهم "،وأن قوله "وعلى أبصارهم "استئناف ،والجار والمجرور خبر المبتدأ الذي هو غشاوة ،وسوغ الابتداء بالنكرة فيه اعتمادها على الجار والمجرور قبلها،ولذلك يجب تقديم هذا الخبر .. فتحصل أن الختم على القلوب والأسماع وأن الغشاوة على الأبصار ،وذلك في قوله تعالى {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً..الآية}الجاثية٢٣[٢]

٢- الإبهام وعدم تحديد المراد من اللفظة القرآنية

-وقد يكون الإبهام في اسم جنس مفردا كان أو جمعا ومثال الإبهام في اسم جنس مفرد:

قوله تعالى(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ}الأعراف١٣٧،فإبهام كلمة " الحسنى " هنا بينه قوله تعالى في سورة

---

(١) أضواء البيان٢/١٦١-١٦٢

(٢) أضواء البيان ١/٤٠

القصص{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ}القصص ٥-٦[١]

ومثال الإبهام في اسم جنس مجموع :

قوله تعالى {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ }البقرة٣٧،فالكلمات المبهمة بينها قوله في سورة الأعراف {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }الأعراف٢٣[٢]

-وقد يكون في اسم جمع،كما في قوله تعالى (كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ .وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ .وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ }الدخان٢٥-٢٨

فقوله" قوما" اسم جمع قد أبهمه هنا ،ولكنه بين في سورة الشعراء أن المراد بالقوم بنو إسرائيل،وذلك في قوله تعالى {فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ .كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ }الشعراء ٥٧-٥٩[٣]

-وقد يكون الإبهام في الاسم الموصول،كما في قوله تعالى "صراط الذين أنعمت عليهم" (الفاتحة ٦)، فلم يبين هنا من هؤلاء الذين أنعم عليهم،وبين ذلك في موضع آخر بقوله{وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً }النساء٦٩ [٤]

-وقد يكون الإبهام في معنى الحرف،كما في قوله تعالى "ومما رزقاهم ينفقون "البقرة ٣

---

(١) نفسه ٢٩٧/٢

(٢) أضواء البيان ٦٣/١

(٣) نفسه٣٢٤/٧،وانظر مقدمة التفسير ٨/١

(٤) نفسه٣٥/١

فقد عبر سبحانه في هذه الآية الكريمة ب"من"التبعيضية الدالة على أنه ينفق لوجه الله بعض ماله لا كله ، ولم يبين هنا القدر الذي ينبغي إنفاقه،والذي ينبغي إمساكه،ولكنه بين في مواضع أخر أن القدر الذي ينبغي إنفاقه هو الزائد على الحاجة وسد الخلة التي لابد منها وذلك كقوله"ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو"(البقرة٢١٩)،والمراد بالعفو :الزائد على قدر الحاجة التي لابد منها على أصح التفسيرات[١]

٣- الاحتمال في مفسر الضمير

فقد يكون في الآية ضمير يحتمل عوده إلى أكثر من مذكور،كما في قوله تعالى "وإنه على ذلك لشهيد" (العاديات٧)،فإن الضمير يحتمل أن يكون عائدا إلى الإنسان ،ويحتمل أن يكون عائدا إلى رب الإنسان المذكور في قوله تعالى "إن الإنسان لربه لكنود"(العاديات٦)،ولكن النظم الكريم يدل على عوده إلى الإنسان ،وإن كان هو الأول في اللفظ بدليل قوله بعده "وإنه لحب الخير لشديد"(آية ٨) ،فإنه الإنسان بلا نزاع [٢]

---

(١) نفسه١/٣٨

(٢) مقدمة التفسير ١/٩،وانظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي ص٣٧٧

رابعا :التفسير الموضوعي

ومن صور التفسير القرآني للقرآن عند الشنقيطي التفسير الموضوعي وهو"جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن التي تتحدث عن قضية أو موضوع واحد،وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية "[1]

والشنقيطي – في أحيان غير قليلة – يعمد إلى جمع واستقراء للآيات المتعلقة بموضوع الآية التي هو بصدد تفسيرها ،ونذكر لذلك هذين المثالين:

في قوله تعالى{اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...الآية} (البقرة٢٥٧)

يقول الشنقيطي :صرح في هذه الآية الكريمة بأن الله ولي المؤمنين وصرح في آية أخرى بأنه وليهم وأن رسول الله ﷺ وليهم وأن بعضهم أولياء بعض،وذلك في قوله تعالى {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ}(المائدة٥٥)

وقال {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ} (التوبة٧١) .

وصرح في موضع آخر بخصوص هذه الولاية للمسلمين دون الكافرين وهو قوله تعالى : {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ}(محمد١١).

وصرح في موضع آخر بأنه نبيه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو قوله : {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ} (الأحزاب٦) .

([1]) راجع تعريف التفسير الموضوعي في : مباحث التفسير الموضوعي د/ مصطفى مسلمص١٦، ودراسات في التفسير الموضوعي لعواض زاهر الألمعي ص٧ ، وبحوث في أصول التفسير ومناهجه د/ فهد الرومي ص٦٢ .

وبين في آية البقرة هذه ثمرة ولايته تعالى للمؤمنين ، وهي إخراجه لهم من الظلمات إلى النور بقوله تعالى : {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } (البقرة٢٥٧) .

وبين في موضع آخر أن ثمرة ولايته إذهاب الخوف والحزن عن أوليائه وبين أن ولايتهم له تعالى بإيمانهم وتقواهم وذلك في قوله تعالى : {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ } (يونس٦٢-٦٣) .

وصرح في موضع آخر أن تعالى ولى نبيه ﷺ وأنه أيضا يتولى الصالحين ، وهو قوله تعالى : {إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ } (الأعراف ١٩٦) [1].

وكذلك في قوله تعالى : {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً } (النساء٤٨)

حيث يجمع الشنقيطي الآيات التي تدور حول موضوع الآية فيقول:

ذكر في هذه الآية الكريمة أنه تعالى لا يغفر الإشراك به ،وأنه يغفر غير ذلك لمن يشاء ،وأن من أشرك به فقد افترى إثما عظيما .

وذكر في مواضع أخر أن محل كونه لا يغفر الإشراك به إذا لم يتب المشرك من ذلك ،فإن تاب غفر له كقوله {إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً}الفرقان٧٠،فإن الاستثناء راجع لقوله{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ}الفرقان٦٨،وما عطف عليه، لأن معنى الكل جمع في قوله " وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً }الفرقان٦٨ ، وقوله {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ}الأنفال٣٨.

([1]) أضواء البيان ١٩٨/١-١٩٩

وذكر في موضع آخر أن من أشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق، وهو قوله في هذه السورة الكريمة أيضا {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً }النساء١١٦.

وصرح بأن من أشرك بالله فالجنة عليه حرام ومأواه النار بقوله" إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ } المائدة٧٢ ،وقوله{وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ }الأعراف٥٠

وذكر في موضع آخر أن المشرك لا يرجى له خلاص وهو قوله" وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}الحج٣١

وصرح في موضع آخر أن الإشراك ظلم عظيم بقوله عن لقمان مقررا له "إن الشرك لظلم عظيم"لقمان ١٣

وذكر في موضع آخر أن الأمن التام والاهتداء إنما هو لمن لم يلبس إيمانه بشرك وهو قوله {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ }الأنعام٨٢،وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أن معنى بظلم بشرك[1]

خامسا :صور تتعلق بأقوال العلماء

إذا كان الشنقيطي يوجه كل عنايته إلى التفسير القرآني لآيات القرآن ،ثم نجده يعنى بذكر أقوال العلماء ،فلابد وأن يكون لهذه الأقوال علاقة بالتفسير القرآني ،ومن ثم فإنه يمكننا أن نوضح عناية الشنقيطي بآراء وأقوال العلماء فيما يلي :

---

(1) أضواء البيان١/٢٩٠،والحديث الذي أشار إليه قد ورد في الصحيحين ، صحيح البخاري كتاب بدء الوحي ١/٣٢رقم٢١و صحيح مسلم كتاب الإيمان ١/١٢٤ رقم ١١٤

١-قد يقتصر الشنقيطي على الرأي الذي يؤيده الدليل القرآني مبينا ظهوره وقوته، ففي تفسير قوله تعالى {بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ }النمل٦٦.

يقول الشنقيطي :

أظهر أقوال أهل العلم عندي في هذه الآية الكريمة أن المعنى :"بل ادارك علمهم"أي تكامل علمهم في الآخرة حين يعاينونها ،أي يعلمون في الآخرة علما كاملا ما كانوا يجهلونه في الدنيا ،وقوله "بل هم في شك منها بل هم منها عمون "أي في دار الدنيا ، فهذا الذي كانوا يشكون فيه في دار الدنيا ،ويعمون عنه مما جاءتهم به الرسل ،يعلمونه في الآخرة علما كاملا لا يخالجه شك عند معاينتهم لما كانوا ينكرونه من البعث والجزاء .

ثم يقول الشنقيطي :

وإنما اخترنا هذا القول دون غيه من أقوال المفسرين في الآية لأن القرآن دل عليه دلالة واضحة في آيات متعددة كقوله تعالى {أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }مريم٣٨ فقوله أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا "بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم عن الحق الذي كانوا ينكرونه ..وهذا يوضح معنى قوله "بل ادارك علمهم في الآخرة "وقوله "لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين"يوضح معنى قوله "بل هم في شك منها بل هم منها عمون "لأن ضلالهم المبين اليوم :أي في دار الدنيا هو شكهم في الآخرة وعماهم عنها ثم يؤكد الشنقيطي على هذا المعنى بآيات أخرى من القرآن كقوله تعالى فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ }ق٢٢،وقوله تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ }السجدة١٢

وقوله تعالى {وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً }الكهف٤٨[١]

وفي تفسير قوله تعالى {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ}النجم٣٢

يقول الشنقيطي:وأظهر الأقوال في قوله"إلا اللمم"أن المراد باللمم صغائر الذنوب ومن أوضح الآيات القرآنية في ذلك قوله تعالى {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ}النساء٣١ ،فدلت على أن اجتناب الكبائر سبب لغفران الصغائر ،وخير ما يفسر به القرآن القرآن [٢]

٢-وقد يذكر الشنقيطي قولين- أو أكثر أحيانا -يشهد لهما القرآن من غير ترجيح بينهما وهذا هو غالب صنيعه مع أقوال العلماء ،فإذا كانت الأقوال يؤيدها الدليل القرآني فلا غضاضة في ذكرها جميعا حتى ولو كان بعضها بعيدا عن ظاهر الآية ،كما سيأتي في تعليق الشنقيطي على بعض الأقوال

ونذكر هنا هذه الأمثلة ،ونحيل بعدها إلى مواضع أخري من التفسير

ففي تفسير قوله تعالى" وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً }الإسراء٨

يقول الشنقيطي :

في قوله "حصيرا "وجهان من التفسير معروفان عند العلماء كل منهما يشهد لمعناه قرآن ،وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية قد يكون فيها وجهان أو أوجه ،وكلها صحيح ويشهد له قرآن فنورد جميع ذلك لأنه كله حق

([١]) أضواء البيان ٦/٤١٣-٤١٤

([٢]) نفسه٧/١٩٦

الأول :أن الحصير المحبس والسجن من الحصر وهو الحبس ..وهذا الوجه يدل له قوله تعالى {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً}الفرقان١٣ونحو ذلك من الآيات

الوجه الثاني :أن معنى "حصيرا "أي فراشا ومهادا من الحصير الذي يفرش..ويدل لهذا الوجه قوله تعالى {لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ}الأعراف٤١[1]

وفي تفسير قوله تعالى {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى }طه٢ يقول الشنقيطي:في قوله تعالى "لتشقى "وجهان من التفسير ،وكلاهما يشهد له قرآن :

الأول :أن المعنى لتتعب التعب الشديد بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا ،وهذا الوجه جاءت بنحوه آيات كثيرة كقوله تعالى" فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ }فاطر٨ وقوله تعالى {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً }الكهف٦،وقوله تعالى {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ }الشعراء٣ ،والآيات بمثل ذلك كثيرة .

الوجه الثاني :أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت قدماه فأنزل الله {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى }أي تنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة،وما بعثناك إلا بالحنيفية السمحة ،وهذا الوجه تدل له ظواهر آيات من كتاب الله كقوله (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}الحج٧٨ وقوله (يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}البقرة١٨٥ والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[2]

وفي تفسير قوله تعالى { فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ}الأعراف١٠١ يذكر الشنقيطي جملة من الأقوال ودلالة القرآن عليها

([1]) أضواء البيان٢/٢١٧-٢١٨

([2]) أضواء البيان ٤/٤٣٣-٤٣٤

منها:أن المعنى :فما كانوا ليؤمنوا بما سبق في علم الله يوم أخذ الميثاق أنهم يكذبون به ولم يؤمنوا به لاستحالته التغير فيما سبق به العلم الأزلي ،ويدل لهذا المعنى آيات كثيرة لقوله{إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ }يونس٩٦،وقوله " تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ }يونس١٠١

ومنها :أن المعنى أنهم لو ردوا إلى الدنيا مرة أخرى لكفروا أيضا ،فما كانوا ليؤمنوا في الرد إلى الدنيا بما كذبوا من قبل ،أي في المرة الأولى ويدل لهذا الوجه قوله تعالى وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ}الأنعام٢٨

ويصف الشنقيطي هذا الوجه بأنه بعيد عن ظاهر الآية

ومنها:أن المعنى فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم ،ويصف الشنقيطي هذا الوجه بأنه اقرب الأقوال إلى ظاهر الآية،لأن شؤم المبادرة إلي تكذيب الرسل سبب للطبع على القلوب والإبعاد عن الهدى ، ومن الآيات التي تدل على هذا الوجه قوله تعالى" طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ }النساء،١٥٥وقوله فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}الصف٥ وقوله {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ}المنافقون٣ إلى غير ذلك من الآيات

وعندما ينتهي الشنقيطي من ذكر الأقوال يعقب بعبارته التي يكررها كثيرا في تفسيره"وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية قد يكون فيها أوجه من التفسير كلها يشهد له قرآن ،وكلها حق فنذكرها جميعا والعلم عند الله تعالى[1]

٣-وعندما يرجح الشنقيطي -أحيانا - رأيا على آخر فإنه يستند في ترجيحه إلى النص القرآني ،ففي تفسير قوله تعالى وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ}الكهف١٨ يقول الشنقيطي :اختلفت عبارات المفسرين في المراد بالوصيد، فقيل :الوصيد هو فناء البيت .

([1]) أضواء البيان٢/٢٩٤

وقيل :الوصيد الباب

وقيل :الوصيد العتبة

وقيل :الوصيد الصعيد

ثم يعقب بقوله :والذي يشهد له القرآن أن الوصيد هو الباب لأن الله يقول {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ }الهمزة٨، أي مغلقة مطبقة ،وذلك بإغلاق كل وصيد وهو الباب من أبوابها[1].

وكذلك في قوله تعالى "فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ }الكهف١٩

يقول الشنقيطي :في قوله "أزكى" قولان للعلماء :

أحدهما :أن المراد بكونه "أزكى "أطيب لكونه حلالا ليس فيه حرام ولا شبهة .

والثاني :أن المراد بكونه "أزكى"أكثر ،كقولهم "زكا الزرع إذا كثر .

ثم يعقب الشنقيطي بقوله:والقول الأول هو الذي يدل له القرآن ،لأن أكل الحلال والعمل الصالح أمر الله به المؤمنين كما أمر به المرسلين ،قال{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً}المؤمنون٥١،وقال{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }البقرة١٧٢.[2]

([1]) أضواء البيان ٤٦/٤

([2]) نفسه٤٩/٤

التعليق

أحسن الشنقيطي صنعا عندما سمى تفسيره "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن "،فلم يقل "في تفسير القرآن بالقرآن "لأن الشنقيطي لم يقف عند مجرد تفسير الآية بالآية ،وإنما يحاول بيان كل ما يتعلق بموضوع الآية،فإذا ما تحدثت الآية عن أمر ما فإنه -كما رأينا -يجتهد مستعينا بالقرآن في الحديث عن سبب ذلك الأمر أو نتيجته أو كيفيته أو أنواعه وأوصافه أو غير ذلك مما يمكن أن يتعلق بهذا الأمر ويفسر بآيات القرآن .

ومن ثم فإن ما فعله الشنقيطي في تفسيره اجتهاد شخصي في بيان القرآن الكريم بآيات القرآن ،فهو يفسر القرآن بالقرآن ويوضح معانيه مرتبطة بعضها البعض ، ويكمل بعضها بعضا ،ويأتي ذلك من وجهة نظره الشخصية .

أقول ذلك لأننا لو أعدنا النظر في آيات القرآن التي تركها الشنقيطي أو ترك تفسير بعض أجزائها وطبقنا عليها نفس المنهج الذي سار عليه في تفسيره لوجدنا أن كثيرا منها يمكن تفسيرها قرآنيا وفق المنهج الذي اعتمد عليه الشنقيطي في بيان معاني الآيات القرآنية .

ولبيان ذلك نذكر هنا بعض الأمثلة من الآيات التي ترك تفسيرها الشنقيطي

١-قوله تعالى {وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ }البقرة٤٨

تعرض الشنقيطي لمقطع واحد من هذه الآية وهو قوله تعالى "ولا يقبل منها شفاعة "،ولم يعرض لبقية المقاطع مع أنه يمكن أن توضح بآيات القرآن

فقوله تعالى "لا تجزي نفس عن نفس شيئا "أي لا يغني أحد عن أحد وهذا المعنى توضحه آيات كثيرة من القرآن كقوله تعالى وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخْرَى}الأنعام١٦٤ ،وقوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً}لقمان٣٣

وأما قوله تعالى "ولا يؤخذ منها عدل "أي لا يقبل منها فداء ،وهذا المعنى أيضا تؤكده وتوضحه آيات كثيرة منها قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ }آل عمران٩١ ،وقوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }المائدة٣٦

وأما قوله تعالى "ولا هم ينصرون "فمعناه :لا ينصرهم ناصر ،وذلك نظير قوله تعالى {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ .مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ . بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ}الصافات ٢٤-٢٦ ،[1]

٢-قوله تعالى {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً}البقرة٧٤

تحدث الشنقيطي في هذه الآية عن سبب قسوة قلوب بني إسرائيل من خلال آيات القرآن كقوله تعالى {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ }المائدة١٣ ،لكنه لم يذكر أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مثل حالهم فقال {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ }الحديد١٦[2]

٣-قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ }البقرة١٠٤في هذه الآية ينهى الله المؤمنين عن التشبه باليهود في قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم "راعنا "لأنها إن كانت عند المؤمنين من

([1]) انظر تفسير ابن كثير ٣٣٣/١

([2]) تفسير ابن كثير ١٦٦/١

المراعاة فهي عند اليهود من الرعونة ،وهذا المعنى يوضحه قوله تعالى {مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً }النساء٤٦[1]

٤- قوله تعالى {وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }البقرة٢٢٤

معنى الآية أن الله تعالى ينهى أن تكون الأيمان به سبحانه مانعة من أفعال البر والتقوى ،ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى {وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }النور٢٢[2]

٥-قوله تعالى {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ}آل عمران٢٨

ينهى الله عباده المؤمنين عن موالاة الكافرين ،ومثل هذه الآية قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ }الممتحنة١، وقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ}آل عمران١١٨

([1]) انظر تفسير الطبري ٥١٤/١

([2]) انظر تفسير ابن كثير ٣٨٦/١

وغير ذلك من الآيات التي تنهى عن موالاة الكافرين [١]

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن ما فعله الشنقيطي إنما هو اجتهاد في بيان معاني القرآن الكريم من خلال آيات القرآن نفسه ،فهو يفسر القرآن بالقرآن من وجهة نظره الشخصية ،ولذلك يقول الدكتور محمود النقراشي في تعليقه على " أضواء البيان":إن إيضاح القرآن بالقرآن هو اجتهاد من المؤلف ،والمقصود بالاجتهاد أن المؤلف استشعر أن آية في كتاب الله موضحة لآية أخرى في غالب الأمر [٢]

ولما كانت هذه المحاولة اجتهادا شخصيا فقد يرى صاحبها ما لايراه غيره من إمكانية تفسير الآيات بالآيات الأخرى وقد يترك آيات يرى آخرون أنها يمكن أن تفسر بالقرآن كما مر بنا في الأمثلة السابقة ،ولذلك يقول تلميذه الشيخ عطية سالم:"وأود أن يعلم أنه توجد آيات من موضوع الكتاب لو أعيد النظر فيها لتناولها البحث ،ولكن هذا شأن التجربة الأولى في أغلب الأمور [٣]

ومع ذلك فتفسير أضواء البيان جدير بما وصف به بأنه "مدرسة كاملة يتحدث عن نفسه"[٤]وبأنه" تفسير خاص على منهج مختص به [٥] ،فهو لم يسبق إلى هذا المنهج الفريد والمحاولة السديدة التي تكشف عن عظمة القرآن وتفتش عن أسراره المتجددة ،يقول الشيخ عطية سالم:ولقد كان هذا العمل من الشيخ رحمه الله تجربة ناجحة من عالم مستوعب والفضل للأسبق[٦]

([١])انظر تفسير أبي السعود٢/٢٣،وفتح القدير للشوكاني ٣٨١/١

([٢]) مناهج المفسرين ص١٧٩

([٣]) أضواء البيان ٦٩٤/٩

([٤]) الشيخ عطية محمد سالم –المقدمة ١/أ

([٥]) الشيخ عطية محمد سالم–أضواء البيان ٥/٨

([٦]) أضواء البيان ٦٩٤/٩

القسم الثاني
الأحكام الفقهية في تفسير الشنقيطي

هذا هو الأساس الثاني الذي بنى عليه الشنقيطي تفسيره،و قبل أن نتحدث عن منهجه في عرض الأحكام الفقهية نحاول أن نبين موقفه من آيات الأحكام تمهيدا للحديث عن منهجه الفقهي.

موقف الشنقيطي من آيات الأحكام

آيات الأحكام هي الآيات التي جاءت فيها الأحكام الفقهية صريحة كآيات العبادات من صلا ة وزكاة وصيام وحج ،/ولآيات المعاملات كآيات الزواج والطلاق وغيرها.

غير أن الناظر في كتب التفسير الفقهي ليجد أن أصحابها لا يقتصرون على الآيات الصريحة فقط ،وإنما يعدون من آيات الأحكام كل آية يمكن استنباط الأحكام الفقهية منها ،وإن كان موضوعها بعيدا عن الأحكام ،كآيات الترغيب والترغيب والقصص وغيرها ،حيث يذكرها مفسرو الأحكام إلى جانب الآيات الفقهية الصريحة مجتهدين في استنباط الأحكام الفقهية منها ،فتكون دلالاتها على الأحكام دلالة باطنة [1]

([1]) والأمثلة على ذلك كثيرة في كتب أحكام القرآن ،من ذلك ما ذكره الجصاص الحنفي في قوله تعالى {بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } البقرة٨١ حيث يقول :قد عقل منه استحقاق النار بما يكسب من السيئة وإحاطتها به فكان الجزاء مستحقا بوجود الشرطين غير مستحق بوجود أحدهما،وهذا يدل على أن من عقد اليمين على شرطين في عتاق أو طلاق أو غيرهما أنه لا يحنث بوجود أحدهما دون وجود الآخر.أحكام القرآن ٤٧/١

وإذا كانت آيات الأحكام تشتمل على الآيات الصريحة وغير الصريحة فإن العلماء لم يتفقوا على عدد معين لآيات الأحكام فيرى بعضهم أن عدد آيات الأحكام خمسمائة آية قال بهذا الرأي الغزالي[١] وينسب كذلك إلى الرازي [٢]وابن العربي[٣]

وبعضهم يرى أن عددها مائتا آية

قال بهذا الرأي الصنعاني [٤]وتبعه محمد صديق خان [٥]

وبعضهم يرى أن عددها مائة وخمسون آية

ويعزى هذا الرأي إلى ابن القيم [٦]

والسبب في اختلافهم راجع إلى اختلافهم في دلالات الآيات غير الصريحة على الأحكام ،لأنها تعتمد على ملكة الفقيه وحسه الفقهي وقدرته على استخراج الأحكام واستنباطها

والقارئ في تفسير الشنقيطي ليستوقفه أمر مهم وهو أن الشنقيطي لم يذكر في تفسيره آيات فقهية صريحة في دلالتها على الأحكام كآية السعي بين الصفا والمروة {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ

=وفي قوله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ}البقرة٢٥٨يقول الكياهراسي الشافعي :يدل على جواز تسمية الكفر ملكا إذا أتاه الله املك والعزة والرفعة ،ويدل على جواز المحاجة في الدين ،وأنه لا فرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض الباطل. أحكام القرآن ٢٢٥/١

(١) المستصفى للغزالي ٢٥٠/٢

(٢) انظر إرشاد الفحول للشوكاني١٢٨/٢

(٣) البرهان للزركشي ٣/٢

(٤) إرشاد النقاد للصنعاني ص١٣٥

(٥) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام لصديق محمد خان ص١٩

(٦) انظر تاريخ الفقه الإسلامي لعمر الأشقر ص٢٢١

أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ }البقرة١٥٨،وكآية القصاص {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ }البقرة١٧٨،وكقوله تعالى في أنواع القتل وكفاراتها {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ ...إلى قوله تعالى {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً }النساء ٩٢-٩٣

وقد عزا الدكتور محمود النقراشي ذلك إلى طبيعة منهج الشنقيطي في التفسير،فمنهجه أن يفسر القرآن بالقرآن ،وهذه الآيات ليس لها ما يوضحها من القرآن [١]

والحق أن النظرة المتأنية في تفسير الشنقيطي تكشف أن الرجل لم يترك هذه الآيات ،وإنما تحدث عن أحكامها في مواضع أخرى من التفسير يكون الحديث فيها أعم وأشمل فهو إن لم يذكر آية السعي في تفسيره فقد تحدث في سورة" الحج " عن فريضة الحج وما يتعلق بها من أحكام فيما يناهز ستمائة صفحة ،وكان من هذه الأحكام السعي بين الصفا والمروة ،وتحدث عن السعي مبتدئا بالحديث عن حكمه والاختلاف فيه ،ثم يذكر الأحكام المتعلقة به في ست مسائل ليستوعب جميع أحكام السعي [٢]

وكذلك إذا لم يذكر آيات القصاص في سورة البقرة،والقتل الخطأ والمتعمد في سورة النساء ،فإنه في سورة الإسراء وفي قوله تعالى "وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ

---

(١) مناهج المفسرين ص ١٩٥.

(٢) أضواء البيان ٥/٢٢٩،وما بعدها

جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً }الإسراء٣٣،يذكر أحكام القصاص وأنواع القتل وما يتعلق بذلك من فروع فقهية بشكل مستفيض [١]

وقد لاحظت أن الشنقيطي يضرب صفحا عن آيات فقهية قد تلحقها شبهة نسخ ،أو لأنها لا تمثل تشريعا نهائيا للحكم المشتملة عليه ،فهي مرحلة من مراحل التشريع المتدرج كقوله تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا..الآية}البقرة٢١٩،وكذلك قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}آل عمران١٣٠

فمعلوم أن كل آية من هاتين الآيتين تمثل مرحلة من مراحل التحريم لما نزلت من أجله أما حديثه عن الخمر فقد جاء عند تفسير قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }المائدة٩٠،وهي الآية التي تمثل التحريم القطعي للخمر [٢]

وحديثه عن الربا فقد جاء عند تفسير قوله تعالى {يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ }البقرة٢٧٦،وهذه الآية قد جاءت في سياق الآيات التي نزلت في تحريم الربا تحريما قطعيا [٣]

الآيات غير الصريحة

أما بالنسبة للآيات غير الصريحة في الدلالة على الأحكام فقد لاحظت في تعامل الشنقيطي معها أمرين :

الأول:الاستطراد إلى ذكر الأحكام التي لا تدل عليها الآية صراحة وإنما تناسب موضوعها

---

(١) نفسه ٤٥٥/٣ ،وما بعدها

(٢) أضواء البيان ١١٤/٢

(٣) نفسه ٤٨/١

ففي تفسير قوله تعالى وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً..الآية}البقرة٣٠،وبعد حديثه عن استخلاف آدم على الأرض نجده يتكلم عن أحكام الإمامة وما يتعلق بها من مسائل فقهية [١]

وفي تفسير قوله تعالى {وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَـذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ }هود٧٧،وبعد أن تحدث الشنقيطي عن قصة لوط عليه السلام وعقوبة قومه لارتكاب فاحشة اللواط يثني باختلاف العلماء في عقوبة مرتكب هذه الفاحشة وأدلتهم ومناقشة هذه الأدلة [٢]

وكذلك في تفسير قوله تعالى {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً}النحل٧٢،يعرض –بعد تفسير الآية –لاختلاف العلماء في جواز المناكحة بين الإنس والجن .[٣]

الأمر الثاني :نقل الاستنباطات الفقهية للعلماء من الآيات غير الصريحة في الأحكام .

ففي تفسير قوله تعالى {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ }النحل٦٦،يذكر مجموعة من استنباطات العلماء منها:

في المسألة الثانية يقول :استنبط النقاش وغيره من هذه الآية الكريمة أن المني ليس بنجس ،قالوا كما يخرج اللبن من بين الفرث والدم سائغا خالصا ،كذلك يجوز أن يخرج المني من مخرج البول طاهرا

---

(١) نفسه ٤٨/١

(٢) أضواء البيان ٢٨/٣

(٣) نفسه ٢٨٨

ثم ذكر اعتراض ابن العربي على هذا الاستنباط ،وثنى بعد ذلك بتأييد القرطبي للنقاش في استنباطه .[1]

وفي المسألة الثالثة يقول :قال القرطبي :في هذه الآية دليل على جواز الانتفاع بالألبان من الشرب وغيره،أما لبن الميتة فلا يجوز الانتفاع به لأنه مائع طاهر حصل في وعاء نجس،وذلك أن ضرع الميتة نجس واللبن طاهر ،فإذا حلب صار مأخوذا من وعاء نجس[2]

وفي تفسير قوله تعالى {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ }الرعد٨ ،يقول الشنقيطي :تنبيه أخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة أن أقل أمد الحمل وأكثره ، وأقل أمد الحيض وأكثره مأخوذ من طريق الاجتهاد ،لأن الله استأثر بعلم ذلك لقوله "اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ " ولا يجوز أن يحكم في شيء من ذلك إلا بقدر ما أظهره الله لنا ووجد ظاهرا في النساء نادرا أو معتادا [3]

([1]) نفسه٣/٢٦٩

([2]) نفسه٣/٢٧١

([3]) أضواء البيان٣/٧٠

منهج الشنقيطي في عرض القضية الفقهية

ذكر الشنقيطي في مقدمة التفسير خطوات المنهج الفقهي الذي يسير عليه في تفسيره فيقول –في المقصود الثاني من تأليف هذا التفسير –:

الثاني :بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة بالفتح في هذا الكتاب ،فإنا نبين ما فيها من الأحكام وأدلتها من السنة وأقوال العلماء في ذلك ،ونرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل من غير تعصب لمذهب معين ،ولا لقول قائل معين، لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله لأن كل كلام فيه مقبول ومردود إلاكلامه صلى الله عليه وسلم ،ومعلوم أن الحق حق ولو كان قائله حقيرا

ويقول أيضا :وقد تضمن هذا الكتاب أمورا زائدة على ذلك كتحقيق بعض المسائل اللغوية وما يحتاج إليه من صرف وإعراب والاستشهاد بشعر العرب وتحقيق ما يحتاج إليه فيه من المسائل الأصولية والكلام على أسانيد الأحاديث [1]

ومن هذا النص – وبعد القراءة في التفسير – يمكن أن نحدد منهجه الفقهي فيما يلي:

أولا:الفقه المقارن ،والذي يتمثل في ذكر أقوال العلماء وأدلتها ومناقشة هذه الأدلة مع الترجيح القائم على الدليل

ثانيا: الجمع بين الأدلة المتعارضة

ثالثا :الإنصاف وعدم التعصب لمذهبه المالكي

رابعا:ذكر بعض المسائل الأصولية التي يحتاج إليها المقام

أولا:الفقه المقارن

([1]) أضواء البيان ١/٣-٤

اعتنى الشنقيطي بهذا الجانب عناية كبيرة حتى صار تفسيره في مواضع كثيرة أشبهه ما يكون بكتب الفقه المقارن ،وقد توسع الشنقيطي في هذا الجانب حتى لا يكاد يترك قولا أودليلا إلا ويذكره .

ونظرا للتوسع والتطويل الذيْن تميز بهما عرض الشنقيطي للقضية الفقهية فإننا سنقتصر على مثال واحد يكشف عن منهجه في بيان الأحكام الفقهية المختلف فيها بين العلماء ثم نحيل القارئ إلى مواضع أخرى من تفسيره ،كما أننا –لطول المثال –نختار منه ما يبين ملامح ذلك المنهج

في تفسير قوله تعالى {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ }الحج٢٦،يكاد الشنقيطي أن يتناول جميع أحكام الحج ،وأقوال العلماء فيها ،ومن هذه الأحكام :

وجوب الحج على الفور أم على التراخي

يقول الشنقيطي :اختلف أهل العلم في ذلك وسنبين هنا إن شاء الله أقوالهم وحججهم وما يرجحه الدليل عندنا من ذلك.

أقوال العلماء

ممن قال إن وجوبه على التراخي :الشافعي وأصحابه..

وممن قال إنه على الفور:الإمام أحمد وأبو يوسف وجمهور أصحاب أبي حنيفة ..

وأما مذهب مالك ففي المسألة قولان مشهوران :

أحدهما :أنه على الفور ،والثاني :أنه على التراخي.

الأدلة

يقول الشنقيطي :وإذا علمت أقوال أهل العلم في هذه المسألة فهذه حججهم

أما الذين قالوا :إنه على التراخي فاحتجوا بأدلة منها:

إنهم قالوا :إن الحج فرض عام ست من الهجرة ، وقوله تعالى {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّه }البقرة١٩٦،نزلت عام ست ،والنبي صلى الله عليه وسلم لم يحج إلا عام عشر ،فذلك دليل على إنه على التراخي ،إذ لو كان على الفور لما أخره عن أول وقت للحج بعد نزول الآية واستدلوا أيضا بما جاء في صحيح مسلم في قصة ضمام بن ثعلبة الذي جاء من البادية بعد أن وصلته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض المسائل ومنها الحج[1]،وقالوا إن قدوم هذا الرجل كان عام خمس ،فدل ذلك على أن الحج كان مفروضا عام خمس ،فتأخيره صلى الله عليه وسلم الحج إلى عام عشر دليل على أنه على التراخي ومن أدلتهم أيضا أنه إن أخر الحج من سنة إلى أخرى ثم فعله فإنه يسمى مؤديا لا قاضيا له بالإجماع ،ولو حرم تأخيره لكان قضاء لا أداء ومن أدلتهم أنهم قاسوا الحج على الصلاة الفائتة ،قالوا :فهي على التراخي ويقاس الحج عليها ،بجامع أن كلا منهما واجب ليس له وقت معين

أدلة القائلين بوجوب الحج على الفور :

يقول الشنقيطي :وأما الذين قالوا إنه على الفور فاحتجوا بأدلة ومنعوا أدلة المخالفين فمن أدلتهم على وجوب الحج على الفور آيات من كتاب الله يفهم منها ذلك وهي على قسمين :

قسم منها فيه الدلالة على وجوب المبادرة إلى امتثال أوامره جل وعلا والثناء على من فعل ذلك كقوله تعالى {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ }آل عمران١٣٣،وقوله تعالى{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ}الحديد ٢١

ومن الآيات التي فيها الثناء على المبادرين إلى امتثال أوامر ربهم قوله تعالى إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ }الأنبياء٩٠وقوله تعالى {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ }المؤمنون٦١

والقسم الثاني يدل على توبيخ من لم يبادر وتخويفه من أن يدركه الموت قبل أن يمتثل كقوله تعالى {أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ..}الأعراف١٨٥

ومن أدلتهم على أن وجوب الحج على الفور أحاديث جاءت دالة على ذلك ،ولا يخلو شيء منها من مقال إلا أنها تعتضد بالآيات المذكورة .

ثم يذكر مجموعة من الأحاديث المتكلم في صحتها وأقوال أهل العلم فيها كقوله ﷺ"من أراد الحج فليتعجل " [1]،وقوله "من لم يحبسه مرض أو مشقة ظاهرة أو سلطان جائر فلم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا [2]،وقوله "من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل "[3]

ويعلق الشنقيطي على هذه الأحاديث قائلا :فهذه الأحاديث مع تعددها واختلاف طرقها تدل على أن وجوب الحج على الفور ،وتعتضد بالآيات القرآنية التي قدمناها ثم يذكر موقف الفريق الأول من هذه الأحاديث ،فهم يقولون :إن هذه الأحاديث لم يثبت منها شيء وأن حديث "من أراد الحج فليتعجل "مع ضعفه حجة لهم لا عليهم لأنه وكل الأمر إلى إرادته،فدل ذلك على أنه ليس على الفور .

([1]) الحديث في سنن ابن ماجة كتاب المناسك ٢/٩٦٣رقم ٢٨٨٣وفي مسند أحمد١/٢١٤ رقم١٨٣٤وفي السنن الكبرى للبيهقي كتاب الحج٤/٣٣٩رقم٨٤٧٠

([2]) الحديث في السنن الكبرى للبيهقي كتاب الحج ٤/٣٣٤ رقم ٨٤٤٣

([3]) الحديث في سنن البيهقي كتاب الحج٥/٢٢٠رقم٩٨٧٨وسنن الدارقطني كتاب الحج٢/٢٧٧ رقم١٩١،وبلفظ "عليه حجة أخرى "في سنن النسائي كتاب الحج٥/١٨٩ رقم٢٨٦١وسنن الدار مي كتاب الحج ٢/٨٥ رقم١٨٩٤

ومن أدلتهم على أن وجوب الحج على الفور قالوا:إن الشرع واللغة والعقل كلها دالة على اقتضاء الأمر على الفور

أما الشرع فكما تقدم من الآيات القرآنية

وأما اللغة فإن صيغة "افعل"تلزم الفور

وأما العقل فإن البقاء إلى زمن متأخر ليس لأحد أن يظنه لأن الموت يأتي بغتة .

مناقشة الأدلة

يقول الشنقيطي :فهذه جملة أدلة القائلين بأن وجوب الحج على الفور ، ومنعوا أدلة المخالفين ،قالوا ،إن الحج فرض سنة خمس بدليل قصة ضمام بن ثعلبة المتقدمة ،فإن قدومه سنة خمس ،وقد ذكر له النبي ﷺ وجوب الحج.. ،وأنه ﷺ أخره بعد فرضه إلى عام عشر ،كل ذلك مردود بل الحج إنما فرض عام تسع ، قالوا والصحيح أن قدوم ضمام كان سنة تسع .

وقال ابن حجر في الإصابة في ترجمة ضمام:وزعم الواقدي أن قدومه كان في سنة خمس وفيه نظر ،وذكر ابن هشام عن أبي عبيد :أن قدومه كان سنة تسع وهذا عندي أرجح

وأما وجه ردهم للاحتجاج بالآية "وأتموا الحج والعمرة لله "فهو أنها لم يذكر فيها إلا وجوب الإتمام بعد الشروع

قال ابن القيم في "زاد المعاد ":وأما قوله تعالى "وأتموا الحج والعمرة لله"وإن نزلت سنة ست فليس فيها فرضية الحج وإنما فيها الأمر بإتمامه وإتمام العمرة بعد الشروع فيهما وذلك لا يقتضي وجوب الابتداء

ثم يغلق الشنقيطي بقوله : فتحصل أن آية "وأتموا الحج والعمرة لله"لم تدل على وجوب الحج ابتداء وإنما دلت على وجوب إتمامه بعد الشروع فيه كما هو

ظاهر اللفظ،وأن قصة ضمام كانت عام تسع كما رجحه ابن حجر وغيره فظهر سقوط الاستدلال بها وبالآية الكريمة ،وأن الحج إنما فرض عام تسع كما أوضحه ابن حجر ،لأن آية "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ " آل عمران٩٧ هي الآية التي فرض بها الحج ...وبه تعلم أنه لاحجة في تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الحج عام فتح مكة لأنه انصرف من مكة والحج قريب ولم يحج لأنه لم يفرض.

الترجيح

يقول الشنقيطي :أظهر القولين عندي وأليقهما بعظمة خالق السموات والأرض هو أن وجوب أوامره جل وعلا كالحج على الفور لا على التراخي لما قدمنا من النصوص الدالة على المبادرة وللخوف من مباغتة الموت ..ولما قدمنا من أن الشرع واللغة والعقل كلها يدل على أن أوامر الله تجب على الفور .[1]

مسائل الإجماع

وإذا كان الشنقيطي يذكر المسائل الخلافية بتوسع وتطويل فإنه يذكر القضايا المتفق عليها وأدلتها بشكل موجز لأنها لا تحتاج لاستعراض الأدلة ومناقشتها والترجيح كشأن المسائل الخلافية

فعند تفسير قوله تعالى {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً }مريم٥٩ ،يعرض الشنقيطي لمجموعة من المسائل المتعلقة بترك الصلاة ونسيانها وقضائها ومما أجمع عليه العلماء من هذه المسائل

في المسألة الأولى يقول الشنقيطي:أجمع العلماء على أن تارك الصلاة الجاحد لوجوبها كافر وأنه يقتل كفرا ما لم يتب .

---

(1) أضواء البيان ١٠٨/٥ وما بعدها،وانظر الأضواء ٩٢/١-٧٠/٣-٣٣٥/٤-٩٨/٥-١٠٨/٥-١٧٢/٥-١٢٦/٦.

وفي المسألة الثالثة بقول :

أجمع العلماء على أن من نسي الصلاة أو نام عنها حتى خرج وفتها يجب عليه قضاؤها ،وقد دلت على ذلك أدلة صحيحة :منها ما رواه الشيخان في صحيحيهما عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك " [1]

ومنها ما رواه مسلم عن أنس أيضا مرفوعا "إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها ،إذا ذكرها فإن الله عز وجل يقول "وأقم الصلاة لذكري" [2]

ومنها مارواه النسائي والترمذي وصححه عن أبي قتادة قال:ذكروا للنبي ﷺ نومهم عن الصلاة ،فقال ليس في النوم تفريط إنما التفريط في اليقظة فإذا نسي أحدكم صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها [3]

..والحاصل أن قضاء النائم والناسي لا خلاف فيه بين العلماء وقد دلت عليه الأحاديث التي ذكرناها وأمثالها مما لم نذكره[4]

وعند تفسير قوله تعالى "وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُما}المائدة٩٦ يقول الشنقيطي في المسألة الأولى:أجمع العلماء على منع صيد البر للمحرم بحج أو عمرة،وهذا الإجماع في مأكول اللحم الوحشي كالظبي والغزال ونحو ذلك ،وتحرم عليه الإشارة إلى الصيد والدلالة عليه ،لما ثبت في الصحيحين من حديث أبي قتادة أنه أكل مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حلال وهم محرمون ،

([1]) البخاري كتاب مواقيت الصلاة ١/٢١٥رقم٥٧٢،ومسلم كتاب المساجد١/٢١٥رقم٥٧٢.

([2]) صحيح مسلم كتاب المساجد١/٤٧٧ رقم٦٨٤

([3]) سنن النسائي كتاب المواقيت١/٢٩٤ رقم٦١٥وسنن الترمذي كتاب أبواب الصلاة ١/٣٣٤رقم١٧٧

([4]) أضواءالبيان٤/٣٤٨-٣٤٩

ورسول الله صلى الله عليه وسلم محرم أمامهم فأبصروا حمارا وحشيا ،وأبو قتادة مشغول بخصف نعله فلم يؤذنوه وأحبوا لو أنه أبصره ،فأبصره فأسرج فرسه ثم ركب ونسي سوطه ورمحه فقال لهم :ناولوني السوط والرمح ،فقالوا والله لا نعينك عليه فغضب فنزل فأخذهما فركب فشد على الحمار فعقره ثم جاء به وقد مات فوقعوا فيه يأكلونه ثم إنهم شكوا في أكلهم إياه وهم حرم فأدركوا النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه فقررهم على أكله ،وناوله أبو قتادة عضد الحمار الوحشي فأكل منها .

ولمسلم"هل أشار إليه إنسان أو أمره بشيء قالوا:لا قال:"فكلوا"

وللبخاري هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها قالوا لا قال:فكلوا ما بقي من لحمها [1]

وقد أجمع جميع العلماء على أن ما صاده محرم لا يجوز أكله للمحرم الذي صاده ولا لمحرم غيره ولا لحلال غير محرم لأنه ميتة [2]

ثانيا الجمع بين الأدلة

وإذا كان الشنقيطي يجتهد غالبا في ترجيح بعض الآراء على بعض فقد وجدناه في أحيان غير قليلة يجتهد في الجمع بين الأدلة المتعارضة [3] التي أدت

([1]) البخاري كتاب الهبة ٢/٩٠٨رقم٢٤٣١ومسلم كتاب الحج ٢/٨٥٢ رقم١١٩٦

([2]) أضواء البيان٢/١١٧

([3]) التعارض هنا ظاهري وليس حقيقيا،حيث لا تعارض حقيقي بين نصوص الشريعة الغراء ، فالتعارض كما عرفه السرخسي "تقابل الحجتين المتساويتين على وجه يوجب كل واحد منهما ضد ما يوجبه الأخرى كالحل والحرمة والنفي والإثبات(أصول السرخسي١٢/٢،وهو بهذا المعنى محال في شريعتنا ،فمصدرها واحد وهو الله تعالى نولا يمكن أن يصدر عنه دليل يقتضي حكما في واقعة ويصدر عنه نفسه دليل آخر يقتضي في الواقعة نفسها حكما خلافه في الوقت الواحد(انظر علم أصول الفقه .عبد الوهاب خلاف ص٢٣

إلى اختلاف الفقهاء ،والمقصود بالجمع "بيان التوافق والائتلاف بين الأدلة الشرعية سواء كانت عقلية أونقلية "[1]

ففي تفسير قوله تعالى {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً }مريم١١ ،يعرض الشنقيطي لمسألة ارتفاع الإمام على المأموم في الصلاة ،وبعد أن يذكر أقوال العلماء وأدلتهم يقول:

والذي يظهر –والله تعالى أعلم–وجوب الجمع بين الأدلة المذكورة ،وأن علو الإمام مكروه كما تقدم ،ويجمع بينه وبين قصة الصلاة على المنبر بجوازه للتعليم دون غيره ،ويدل لهذا إخباره صلى الله عليه وسلم أنه ارتفع على المنبر ليعلمهم الصلاة لأنه إذا ارتفع رأوه وإذا نزل لم يره إلا من يليه ،وجمع بعضهم بان ارتفاعه على المنير ارتفاع يسير وهو مغتفر [2]

وفي تفسير قوله تعالى{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ}النور٢

يعرض الشنقيطي لأقوال العلماء في تغريب المرأة البكر –مع جلدها –إذا زنت ،فيقول قال جماعة من أهل العلم :تغرب المرأة سنة لعموم أدلة التغريب وممن قال به الشافعي واحمد .

([1]) التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية .عبد اللطيف البرزنجي١/٣٣٨

([2]) أضواء البيان ٤/٢٣٨،وحديث الصلاة على المنبر في صحيح البخاري كتاب الصلاة ١/١٤٨ رقم٣٧٠

وقال بعض أهل العلم :لا تغريب على النساء..واحتجوا بالأحاديث الصحيحة الواردة بنهي المرأة عن السفر إلا مع محرم أو زوج [1] ثم يعلق على ذلك بقوله:

الذي يظهر لي أنها إن وجد لها محرم متبرع بالسفر معها إلى محل التغريب مع كون محل التغريب محل مأمن لا تخشى فيه فتنة مع تبرع المحرم المذكور بالرجوع معها إلى محلها بعد انتهاء السنة ،فإنها تغرب لأن العمل بعموم أحاديث التغريب لا معارض له في الحالة المذكورة ،وأما إن لم تجد محرما متبرعا بالسفر معها فلا يجبر ،لأنه لا ذنب له ولا تكلف هي السفر بدون محرم لنهيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك [2]

وكذلك في تفسير قوله تعالى {وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} الشعراء٢٢٤،يعرض لمسألة اعتراف الشاعر بما يوجب عليه الحد في شعره ،فيقول :اعلم أن العلماء اختلفوا في الشاعر إذا اعترف في شعره بما يستوجب حدا ،هل يقام عليه؟على قولين :

أحدهما أنه يقام عليه لأن ه أقر به والإقرار تثبت به الحدود

والثاني :أنه لا يحد بإقراره في شعره لأن كذب الشاعر في شعره أمر معروف معتاد وإنه لا نزاع فيه ثم يعلق الشنقيطي بقوله:أظهر القولين عندي أن الشاعر إذا أقر في شعره بما يستوجب الحد لا يقام عليه الحد لأن الله جل وعلا صرح بكذبهم في شعرهم في قوله " يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ }الشعراء٢٢٦،فهذه الآية الكريمة تدرأ عنهم الحد ،ولكن الأظهر أنه إن أقر بذلك استوجب بإقراره به الملام

([1]) ورد في الصحيحين قوله ﷺ قوله"لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم "البخاري أبواب تقصير الصلاة١/٢٦٨رقم ١٠٣٦ومسلم كتاب الحج ٢/٩٧٨رقم١٣١٤

([2]) أضواء البيان٦/٦٦

والتأديب ،وإن كان لا يحد به ،كما ذكر جماعة من أهل الأخبار في قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهورة مع النعمان بن عدي [1]

ثالثا: الإنصاف في عرض مسائل الخلاف

من أهم ما يميز منهج الشنقيطي في غرض القضية الفقهية هو الموضوعية في عرض الآراء وأدلتها ،فالقصد هو الوصول إلى الحق الذي يوصل إلى كمال طاعة الله،والعبرة بالقول لا بالقائل ،وكل يؤخذ من كلامه ويرد إلا كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

ولذا فقد بدا الرجل في تفسيره حرا في آرائه ومناقشاته ،يحترم الرأي الذي يؤيده الدليل بصرف النظر عن صاحبه أو المذهب الذي ينتمي إليه ،ولعل أهم ما يكشف عن إنصاف الرجل وعدم تعصبه لمذهبه المالكي أننا وجدناه في مواضع كثيرة من تفسيره يرجح المذاهب الأخرى ويقدمها على مذهبه .

فعند تفسير قوله تعالى "..وأرجلكم إلى الكعبين ..الآية"المائدة ٦،يقول في مسألة توقيت المسح على الخفين :اختلف العلماء في توقيت المسح على الخفين :

فذهب جمهور العلماء إلى أن توقيت المسح يوم وليلة للمقيم ،وثلاثة أيام للمسافر ،وإليه ذهب الأئمة الثلاثة :أبو حنيفة والشافعي وأحمد وأصحابهم وهو مذهب الثوري والأوزاعي وأبي ثور وإسحق بن راهويه وداود الظاهري والطبري

وذهبت جماعة من أهل العلم إلى عدم توقيت المسح وقالوا :إن من لبس خفيه وهو طاهر مسح عليهما ما بدا له ،ولا يلزمه خلعهما إلا من جنابة ،وممن قال بهذا القول: مالك وأصحابه والليث بن سعد والحسن البصري .

([1]) أضواء البيان ٣٩١/٦،وقد ذكر ابن كثير أن عمر ابن الخطاب قد استعمل النعمان بن عدي على ميسان من أرض البصرة ،وقد بلغ عمر أن النعمان قال شعرا اعترف فيه بشرب الخمر ،فعزله ولامه على ذلك غير أنه لم يرو أنه حده على الشرب .تفسير ابن كثير ٣٥٥/٣

وبعد أن يذكر الشنقيطي أدلة الفريقين يقول :..والنفس إلى ترجيح التوقيت أميل لأن الخروج من الخلاف أحوط،كما قال بعض العلماء:

وذو احتياط في أمور الدين من فر من شك إلى يقين

ومصداق ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"[1]، فالعامل بأدلة التوقيت

طهارته صحيحة باتفاق الطائفتين بخلاف غيره ،فإحدى الطائفتين تقول ببطلانها بعد الوقت المحدد،والله تعالى أعلم [2]

وعند تفسير قوله تعالى {لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ}المائدة٨٩،يقول في المسألة الرابعة من مسائل أحكام الأيمان :

لو فعل المحلوف عن فعله ناسيا ففيه للعلماء ثلاثة مذاهب :

الأول :لا حنث عليه مطلقا لأنه معذور بالنسيان،والله تعالى يقول وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ }الأحزاب٥،وقال صلى الله عليه وسلم:"إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" [3] ،وهو قول عطاء وعمرو بن دينار ورواية عن أحمد

الثاني:ذهب قوم إلى أنه يحنث مطلقا وهو مشهور مذهب مالك ،وبه قال سعيد بن جبير ومجاهد والزهري وأبو حنيفة وهو أحد قولي الشافعي

الثالث:ذهب قوم إلى الفرق بين الطلاق والعتق وبين غيرهما ،فلا يعذر بالنسيان في الطلاق والعتق ويعذر في غيرهما ،وهذا هو ظاهر مذهب الإمام أحمد

---

(1) الحديث في البخاري كتاب البيوع /٧٢٤رقم،٢٥١٨وسنن الترمذي كتاب صفة القيامة٢/٦٨٨رقم٢٥١٨

(2) أضواء البيان ٢/٢٤

(3) نفسه ٢/١٠٧-١٠٨

ويعلق الشنقيطي على هذه الآراء بقوله :وهذا القول الأخير له وجه من النظر لأن في الطلاق والعتق حقا لله وحقا للآدميين والحالف يمكن أن يكون متعمدا في نفس الأمر ويدعي النسيان لأن العمد من القصود الكامنة التي لا تظهر حقيقتها للناس فلو عذر بادعاء النسيان لأمكن تأدية ذلك إلى ضياع حقوق الآدميين والعلم عند الله تعالى [1]

رابعا :المسائل الأصولية

ومما يلفت النظر في تفسير الشنقيطي أنه يعرض لبعض المسائل الأصولية المتعلقة بموضوع الآية المفسرة،ويمكننا بيان وجوه اهتماماته الأصولية فيما يلي :

١-تحقيق المسائل الأصولية

٢-الاستدلال بالقواعد الأصولية على الأحكام الشرعية

٣-الاستدلال بالآيات على القواعد الأصولية

أولا:تحقيق المسائل لأصولية

يعمد الشنقيطي – في غير موضع – إلى تحقيق بعض المسائل المتعلقة بموضوع الآية بشيء من التفصيل ،ومن المسائل الأصولية التي تعرض لها الشنقيطي:

١-مقاصد الشريعة

معرفة المقاصد العامة للشريعة الإسلامية تعين على فهم نصوصها فهما صحيحا والملاءمة بينها وبين الواقع والأحداث ،كما أنها تساعد في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها في ضوء المقاصد لأن العلم بدلالة الألفاظ على المعاني لا يكفي

([1]) الحديث في سنن ابن ماجة كتاب الطلاق١/٦٥٩رقم ٢٠٤٣

،فالنصوص قد تتعدد دلالاتها وقد تتعارض ظواهرها ،والسبيل إلى الترجيح هو الوقوف على مقاصد التشريع .[1]

ويتمثل المقصد العام من التشريع في تحقيق مصالح الناس بحفظها ودفع الضر عنها ،فالشريعة كما يقول ابن القيم –مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد..وهي عمود العالم وقطب الفلاح في الدنيا والآخرة [2].

عند تفسير قوله تعالى {إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ..الآية}الإسراء٩

يعرض الشنقيطي لأنواع المصالح والمقاصد الشرعية من الضروريات والحاجيات والتحسينات فيقول:

فالمصالح التي عليها مدار الشرائع ثلاث:

الأولى :درء المفاسد المعروف عند أهل الأصول بالضروريات

والثانية :جلب المصالح المعروف عند أهل الأصول بالحاجيات

والثالثة :الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات المعروف عند أهل الأصول بالتحسينات والتتميمات

ثم يقول :وكل هذه المصالح الثلاث هدى فيها القرآن العظيم للطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها فالضروريات التي هي درء المفاسد إنما هي درؤها عن ستة أشياء:الدين ،النفس ،العقل ،النسب ،العرض ،المال .

ويستدل الشنقيطي على كل هذه الضروريات والحفاظ عليها بالأدلة من

([1]) انظر:أصول الفقه د/وهبة الزحيلي ص ٢٠٤،والوجيز في أصول الفقه د/عبد الكريم زيدان ص٣٧٨

([2]) أعلام الموقعين عن رب العالمين ٦/٣

القرآن والسنة [1]

ثم يتحدث عن الحاجيات والتحسينيان فيقول :

والمصلحة الثانية :جلب المصالح،وقد جاء القرآن بجلب المصالح بأقوم الطرق وأعدلها ففتح الباب لجلب المصالح في جميع الميادين ،قال تعالى {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ}الجمعة١٠،وقال{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ}البقرة١٩٨

ولأجل هذا جاء الشرع الكريم بإباحة المصالح المتبادلة بين أفراد المجتمع على الوجه المشروع ليستجلب كل مصلحته من الآخر كالبيوع والإجارات والمساقاة والمضاربة ،وما جرى مجرى ذلك والمصلحة الثالثة :الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات وقد جاء القرآن بذلك بأقوم الطرق وأعدلها ،والحض على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات كثير جدا في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولذلك لما سئلت عائشة رضي الله عنها قالت :كان خلقه القرآن " لأن القرآن يشتمل على جميع مكارم الأخلاق والله تعالى يقول لنبيه {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } القلم٤،فدل مجموع الآية والحديث على أن المتصف بما في القرآن من مكارم الأخلاق أن يكون على خلق عظيم ،وذلك لعظم في القرآن من مكارم الأخلاق..ومن ذلك قوله تعالى وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}البقرة،٢٣٧وقال تعالى {وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ }النساء٣٦ وقال تعالى {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }النحل٩٠

---

(1) انظر أضواء البيان ٣٧٣/٢

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ما يدعو إليه القرآن من مكارم الأخلاق ومحاسن العادات [1]

٢-التقليد

تعرض الشنقيطي لمسألة التقليد في أكثر من موضع في كتابه متحدثا عن أقسامه وحكم كل قسم منها

فعند تفسير قوله تعالى {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}محمد ٢٤،يتحدث الشنقيطي في المسألة الثالثة عن التقليد:معناه لغة واصطلاحا ،وأقسامه وبيان الصحيح منها وغير الصحيح ،فيقول:

اعلم أن التقليد في اللغة هو جعل القلادة في العنق ،وتقليد الولاة هو جعل الولايات قلائد في لأعناقهم ..

وأما التقليد في اصطلاح الفقهاء فهو الأخذ بمذهب الغير من غير معرفة دليله .

أنواع التقليد

يقول الشنقيطي :التحقيق أن التقليد منه ما هو جائز، ومنه ما ليس بجائز ، ومنه ما خالف فيه المتأخرون المتقدمين من الصحابة وغيرهم من القرون الثلاثة المفضلة .

ثم يقول:وسنذكر كل هذه الأقسام هنا إن شاء الله مع بيان الأدلة

-أما التقليد الجائز الذي لا يكاد يخالف فيه أحد من المسلمين فهو تقليد العامي عالما أهلا للفتيا في نازلة نزلت به ،وهذا النوع من التقليد كان شائعا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلاف فيه

---

(١) أضواء البيان ٣/٣٧٢ وما بعدها

-وأما ما ليس من التقليد بجائز بلا خلاف فهو تقليد المجتهد الذي ظهر له الحكم باجتهاده مجتهدا آخر يرى خلاف ما ظهر له للإجماع على أن المجتهد إذا ظهر له الحكم باجتهاده لا يجوز أن يقلد غيره المخالف لرأيه

-وأما التقليد الذي خالف فيه المتأخرون الصحابة وغيرهم من القرون المشهود لهم بالخير فهو تقليد رجل واحد معين دون غيره من جميع العلماء وهذا النوع من التقليد لم يرد به نص كتاب ولا سنة ،ولم يقل به أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من القرون الثلاثة المشهود لهم بالخير ،وهو مخالف لأقوال الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى ،فلم يقل منهم أحد بالجمود على قول رجل واحد معين دون غيره من جميع علماء المسلمين

ثم يشرع الشنقيطي في بيان حجج القائلين بهذا النوع الأخير مبينا بطلانها وفسادها[1]

([1]) أضواء البيان ٤٨٥/٧ وما بعدها

ثانيا :الاستدلال بالقواعد الأصولية على الأحكام الشرعية

حيث يعتمد الشنقيطي على القاعدة الأصولية قي بيان الحكم الشرعي

ففي تفسير قوله تعالى وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }المائدة٥ يقول الشنقيطي :ظاهر هذه الآية الكريمة أن المرتد يحبط جميع عمله بردته من غير شرط زائد ،ولكنه أشار في موضع آخر إلى أن ذلك فيما إذا مات على الكفر وهو قوله" وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ}البقرة٢١٧

ومقتضى الأصول حمل هذا المطلق على هذا المقيد،فيقيد إحباط العمل بالموت على الكفر ،وهو قول الشافعي ومن وافقه ،خلافا لمالك القائل بإحباط الردة العمل مطلقا والعلم عند الله تعالى [1]

وفي تفسير قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }النحل١٠-١١،

يقول الشنقيطي :اعلم أن النظر في هذه الآيات واجب لما تقر في الأصول أن صيغة الأمر تقتضي الوجوب إلا بدليل يصرفها عن الوجوب،والله جل وعلا أمر الإنسان أن ينظر إلى طعامه الذي به حياته ،ويفكر في الماء الذي هو سبب إنبات حبه ثم بعد إنزال الماء وري الأرض من يقدر على شق الأرض عن النبات وإخراجه منها ثم من يقدر على إخراج الحب من ذلك النبات ،ثم من يقدر على تنميته حتى يصير صالحا للأكل ،وذلك في قوله تعالى {فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً .ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً .فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً.وَعِنَباً وَقَضْباً. وَزَيْتُوناً وَنَخْلا .وَحَدَائِقَ غُلْباً .فَاكِهَةً وَأَبّاً .مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ }عبس ٢٤-٣٢.

---

(1) أضواء البيان ٧/٢

وظاهر القرآن أن النظر في ذلك واجب ولا دليل يصرف عن ذلك [1]

ثالثا :الاستدلال على القواعد الأصولية بالآيات القرآنية

فكما يعتمد الشنقيطي على القواعد الأصولية في استخراج الأحكام الشرعية فهو كذلك يستدل على هذه القواعد بآيات القرآن

ففي تفسير قوله تعالى "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }النور٦٣،يقول الشنقيطي :وهذه الآية الكريمة قد استدل بها الأصوليون على أن الأمر المجرد من القرائن يقتضي الوجوب ،لأنه جل وعلا توعد المخالفين عن أمره بالفتنة أو العذاب الأليم وحذرهم من مخالفة الأمر ،وكل ذلك يقتضي أن الأمر للوجوب ما لم يصرف عنه صارف لأن غير الواجب لا يستوجب تركه الوعيد الشديد والتحذير [2]

وفي تفسير قوله تعالى {قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ .إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ .إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ }الحجر ٥٨-٦٠يقول الشنقيطي :في هذه الآية دليل واضح لما حققه الأصوليون من جواز الاستثناء من الاستثناء ،لأنه تعالى استثنى آل لوط من إهلاك المجرمين بقوله"إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين " ثم استثنى من هذا الاستثناء امرأة لوط بقوله "إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين "[3]

أضواء البيان بين كتب التفسير

نحاول في هذه الصفحات أن نبين القيمة العلمية لتفسير" أضواء البيان " ويتضح ذلك من خلال ما يلي :

---

(1) نفسه٢٠٢/٣

(2) أضواء البيان ٢٥٣/٦

(3) نفسه١٣٨/٣

-بيان موقعه بين كتب التفسير النقلي والعقلي

-بيان موقعه بين تفاسير الأحكام

-أقوال العلماء في هذا التفسير ومكانته العلمية

١-أضواء البيان بين كتب التفسير النقلي والعقلي

عندما نريد الحكم على تفسير ما بأنه نقلي أو عقلي إنما نحكم عليه بالغالب على منهج صاحبه فإن غلب عليه نقل ما أثر عن التابعين من العلماء والمفسرين فهو تفسير نقلي ،وإن غلب عليه النظر العقلي في آيات القرآن وتدبر معانيها واستخراج دلالاتها واستنباط أحكامها فهو تفسير عقلي وعندما نقف أمام تفسير أضواء البيان للشنقيطي فإنه ينبغي أن نشير إلى أمور :

أولا :الشنقيطي يفسر القرآن بالقرآن ،وهذا المنهج أدى إلى إدراجه ضمن كتب التفسير بالمأثور ،وإذا كنا أسلفنا أن الشنقيطي يفسر القرآن بالقرآن باجتهاد خاص ومن وجهة نظر شخصية فإن ذلك لا يعد نقلا إنما هو اجتهاد عقلي في النص القرآني .

ثانيا:بناء على ما تقدم في الفقرة السابقة فإننا نتساءل هل يعد تفسير القرآن بالقرآن من قبيل التفسير بالمأثور أم يعد من قبيل التفسير بالرأي والاجتهاد

أقول:نظرا لأهمية هذا الموضوع فقد قمت بإعداد دراسة مستقلة عنونتها ب"تفسير القرآن بالقرآن بين المأثور والمعقول ،وكان من أبرز نتائجها أن جل تفسير القرآن بالقرآن إنما هو راجع إلى ملكة المفسر وقدرته على الاستدلال على

معاني الآيات القرآنية من داخل القرآن الكريم ،وقليل جدا من آيات القرآن ما يتوقف معناه على آيات أخرى [1] ليكون جديرا بمصطلح تفسير القرآن بالقرآن

ثالثا :إن التفاسير المعروفة بالتفاسير النقلية والمصنفة في كتب التفسير بالمأثور –والتي كان تفسير القرآن بالقرآن ملمحا واضحا فيها –لم تقتصر على هذا المصدر التفسيري ،وإنما العناية ممتدة إلى مصادر التفسير الأخرى كالتفسير النبوي وأقوال الصحابة والتابعين والسلف الصالح ،إضافة إلى الاهتمام الواضح بالقضايا التفسيرية العامة كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات بأنواعها وغيرها من علوم القرآن .

أما الشنقيطي فقد ركز في تفسيره –في الأعم الأغلب –على بيان القرآن بالقرآن فقط،وبيان الأحكام المتعلقة بالآيات المفسرة دون اللجوء إلى مصادر التفسير الأخرى إلا حسب الحاجة .

-أضواء البيان بين تفاسير الأحكام

تفاسير أحكام القرآن تفاسير فقهية استقلت بآيات الأحكام الفقهية فقط،فمقصد المفسر فيها هو التعرض الآيات التي تشتمل على أحكام فقهية وبيان هذه الأحكام وأقوال العلماء فيها ،ولذلك فهم يتركون آيات بل سورا كثيرة دون تفسير لأنها تخلو من الأحكام الفقهية ،فليس الغرض هو التفسير وإنما بيان الأحكام

أما تفسير أضواء البيان ففيه نشاط فقهي واضح ،ولو استبعدنا الجانب الفقهي في هذا التفسير لما زاد عن مجلد أو مجلدين ،غير أن منهج الشنقيطي يختلف عن منهج التفاسير الفقهية لأن مقصده الرئيسي هو التعرض للآيات التي

([1]) كقوله تعالى "أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ " المائدة١،حيث أجمع المفسرون على الاستثناء في هذه الآية مفسر بقوله تعالى" حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ ..الآية المائدة٢

يمكن أن تفسر بالقرآن ،ثم الحديث عن أحكامها إن اشتملت على أحكام ،فالحديث عن الأحكام في هذا التفسير تابع لتفسير القرآن بالقرآن ،بخلاف تفاسير الأحكام التي يكون الغرض الرئيس منها هو آيات الأحكام فقط، ومن ثم فإن وصف هذا التفسير بأنه تفسير فقهي [1]وصف غير دقيق ،إلا أن اجتماع الأحكام مع تفسير القرآن بالقرآن في أضواء البيان جاء -فيما أحسب -إشارة من المفسر رحمه الله إلى أن الحديث عن الأحكام لا بد وأن يستند إلى دليل شرعي،والقرآن هو أصل الأدلة ومصدر الشريعة الأول ،وهو حجة الله على الناس جميعا وأحكامه واجبة الاتباع لا خلاف بين المسلمين في ذلك والدليل على حجيته هو أنه من عند الله والدليل على أنه من عند الله هو إعجازه للبشر جميعا [2]

٤-أقوال العلماء في تفسير أضواء البيان

ومما يدل على مكانة هذا التفسير وقيمته العلمية ثناء العلماء والباحثين عليه،فما ذكر هذا التفسير إلا بالمدح والثناء،وممن أثنى على هذا التفسير :

-الشيخ عطية محمد سالم

حيث يقول :أضواء البيان ..مدرسة كاملة يتحدث عن نفسه [3]

-ويقول الدكتور فهد الرومي :ذلكم تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،ما رأيت تفسيرا قديما ولا حديثا فسر القرآن بالقرآن مثله،لا يكاد يتناول آية قرآنية إلا وبين ما تدل عليه وما لا تدل عليه ثم أورد الآيات التي تكشف ما لم

([1]) انظر مناهج المفسرين د/محمود النقراشي ص ٢٠٢

([2]) أصول الفقه عبد الوهاب خلاف ص ٢٤

([3]) أضواء البيان .المقدمة ١/ت

تدل عليه الآية الأولى ،فأصبحت الآيات مجتمعة كالسبيكة الواحدة تجلو كل إبهام وتوضح كل غامض [١]

ويقول أيضا :يعد هذا التفسير بحق من خير المؤلفات في التفسير قديما وحديثا ومن أتبعها للسنة وأبعدها عن البدعة ،والقارئ فيه يجد رائحة علماء السلف ونقاء سريرتهم وصفاء عقيدتهم ودقة استنباطهم وسعة علمهم رحم الله مؤلفه رحمة واسعة [٢]

-ويقول الأستاذ محمد المجذوب :أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،هذا المؤلف الفخم أدل أعماله الكتابية على موسوعيته العلمية ،لا يكاد يدع شاردة من الأحكام إلا جمع لها الأدلة من مظان الوحي في تنسيق وتنظيم [٣]

-ويقول الأستاذ أحمد بن محمد بن إسماعيل :بين يدي القارئ كتاب "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن "هذا المرجع الضخم الذي يعد مدرسة كاملة تتحدث عن نفسها ، وتتجلى للناظرين في نسيج عربي قح لم تمسه العجمة ولا الهلهلة وهو أول آثار العلامة القرآني الفذ محمد الأمين الشنقيطي على استيعابه الموسوعي الذي لا يكاد يعرف له مثيل في غير القمم الشامخة من أساطين العلم الذين نقرأ عنهم ونطالع آثارهم [٤]

---

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ١/١٤٦-١٤٧

(٢) دراسات في علوم القرآن ص١٥٨

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم١/١٨٧

(٤) أضواء البيان .مقدمة الناشر ١/أ

الخاتمة

بعد معايشتي لهذا التفسير معايشة القارئ والباحث معا ،القارئ الذي ينشد الاستفادة والباحث الذي ينشد بيان قيمة هذه الاستفادة تبين لي ما يلي :

أولا:تفسير أضواء البيان محاولو عقلية فريدة ،اجتهد صاحبها في بيان معاني القرآن بالقرآن من وجهة نظره الشخصية ،فليس تفسيرا للقرآن بالمعنى المعروف ،وإنما هو استشعار لمعنى الآية أو ما يمكن أن يفهم منها من خلال الآيات القرآنية الأخرى

ثانيا:بنى الشنقيطي هذا التفسير على أساس بيان القرآن بالقرآن ،ومن ثم فإن الآيات التي يعسر تفسيرها بالقرآن فلا يتعرض لها الشنقيطي لأنها ليست داخلة ضمن منهجه الذي وضعه لنفسه في هذا التفسير

ثالثا :يجتهد الشنقيطي في بيان ما ينمكن بيانه من الآية بالقرآن الكريم ،فقد يفسر الآية كلها أو يفسر جزءا منها حسب ما يتمكن من بيانه بالقرآن الكريم ،وقد يجزئ الآية إلى مقاطع كل مقطع يستشهد على معناه من آيات القرآن

رابعا:وجه الشنقيطي عنايته إلى الأحكام المتعلقة بالآية المفسرة بشيء من التوسع في كثير من الأحيان وبشكل يخرجنا من الجو التفسيري إلى الجو الفقهي ، إلا أنه كشف عن جانب مهم في شخصية الشنقيطي وهو الجانب الفقهي

خامسا :يختلف منهج الشنقيطي في أضواء البيان عن مناهج أصحاب تفاسير الأحكام لأن الأحكام في تفسيره تابعة للآيات المفسرة بالقرآن ،أما تفسير الأحكام فعنايتها موجهة أساسا إلى الآيات الفقهية واستخراج الأحكام منها

سادسا:تفسير أضواء البيان تجربة متميزة في هذا المجال وظاهرة جديدة في عالم التفسير جديرة بالبحث والدراسة ،ونحن إن كنا نتحفظ أمام ترك بعض الآيات التي يمكن بيانها بالقرآن وكذلك توسعه الملحوظ في عرض القضية الفقهية إلا أن هذا شأن كل تجربة جديدة،وحسبه أنه انفرد بمنهج لم يسبق إليه .

المراجع

١-الإتقان في علوم القرآن للسيوطي تقديم وتعليق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م

٢-اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر .د/فهد الرومي.رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م

٣-أحكام القرآن للجصاص دار الكتاب العربي بيروت .

٤-أحكام القرآن للكيا هراسي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٥-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي بيروت .

٦-إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ،تحقيق أبي حفص الأثري ،دار الفضيلة الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م.

٧-إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد للصنعاني تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد الدار السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥م .

٨-أصول الفقه د/وهبة الزحيلي،كلية الدعوة الإسلامية،طرابلس،الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ،١٩٩٠م.

٩-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي،مكتبة ابن تيمية القاهرة١٤٠٨هـ-١٩٨٨ م.

١٠-أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية ، تحقيق طه عبد الرءوف سعد دار الجيل بيروت .

١١-بحوث في أصول التفسير د/فهد الرومي، مكتبة التوبة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٢- البرهان في علوم القرآن للزركشي ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت .

١٣-تاريخ الفقه الإسلامي عمر الأشقر مكتبة الفلاح بيروت ،الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٤- التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية. عبد الطيف البرزنجي.دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣.

١٥- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ،دار مكتبة الهلال بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

١٦- تفسير النصوص في الفقه الإسلامي د/محمد أديب صالح .منشورات المكتب الإسلامي الطبعة الثانية .

١٧- جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري، دار المعرفة بيروت١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .

١٨- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣هـ-١٩٩٣م

١٩- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي، دار عالم الفوائد الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ .

٢٠- دراسات في التفسير الموضوعي .عواض زاهر الألمعي مطابع الفرزدق التجارية ،الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

٢١- دراسات في علوم القرآن د/فهد الرومي مكتبة التوبة الرياض الطبعة السابعة١٤١٩هـ -١٩٩٨م .

٢٢- سنن ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر بيروت.

٢٣- سنن البيهقي الكبرى مكتبة دار الباز مكة تحقيق محمد عبد القادر عطا١٤١٤هـ-١٩٩٤.

٢٤- سنن الترمذي *الجامع الصحيح*،تحقيق محمد أحمد شاكر وآخرون دار إحياء التراث العربي .

٢٥-سنن الدرامي دار الكتاب العربي بيروت،تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد العلمي،الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٢٦- سنن النسائي مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م

٢٧- صحيح البخاري،تحقيق د/مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير (اليمامة) ،الطبعة الثالثة ،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٢٨- علماء ومفكرون عرفتهم. محمد المجذوب، عالم المعرفة جدة، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣.

٢٩- علم أصول الفقه .عبد الوهاب خلاف.مكتبة الدعوة الإسلامية .شباب الأزهر.

٣٠- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت

٣١- فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي ،تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري، دار إحياء التراث بقطر١٤١٠هـ-١٩٨١م .

٣٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني ،دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ -١٩٩٤م .

٣٣- مباحث في التفسير الموضوعي د/مصطفى مسلم، دار القلم دمشق الطبعة الثالثة ،١٤٢١هـ،٢٠٠٠م .

٣٤- مجلة الجامعة الإسلامية .تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٣٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم راجعه نخبة من العلماء دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى .

٣٦-المستصفى من علم الأصول للغزالي.دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية

٣٧- مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة مصر .

٣٨- مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث د/محمود النقراشي مكتبة النهضة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٦م .

٣٩- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام للقنوجي تحقيق رائد صبري أبي علفة ،دار رمادي للنشر ،الدمام ،الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧م.

٤٠- الوجيز في أصول الفقه ،د/عبد الكريم زيدان مؤسسة قرطبة بيروت ١٩٧٨م.

الفهرست

مقدمة.....٢٢٤
التعريف الشنقيطي.....٢٢٨
التعريف بتفسير أضواء البيان.....٢٣١
القسم الأول :صور التفسير القرآني في أضواء البيان.....٢٢٣

صور تتعلق بالتفسير والبيان.....٢٣٣
صور تتعلق بإتمام المعنى ٢٣٩
صور تتعلق ببيان المجمل.....٢٤٨
التفسير الموضوعي.....٢٥٣
صور تتعلق بأقوال العلماء ٢٥٦
التعليق.....٢٦١
القسم الثاني:الأحكام الفقهية في أضواء البيان.....٢٦٥
موقف الشنقيطي من آيات الأحكام ٢٦٨
منهج الشنقيطي في عرض القضية الفقهية.....٢٧١
أضواء البيان بين كتب التفسير ٢٨٩
الخاتمة ٢٩٤
المراجع.....٢٩٥
الفهرست.....٢٩٩